جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- قسنطينة -

الشيخ الفضيل الورتلاني

المجاهد الثائر

رمز نضال

بمناسبة تخرج الدفعة السادسة عشرة

30 ربيع الثاني 1424 - 30 جوان 2003

معلومات الاتصال بالجامعة :

عنوان الجامعة : نهج قدور بومدوس ص.ب 137 قسنطينة 25000
العنوان الإلتروني : E.MAIL. USIEAK.1.alST.CERIST.DZ
موقع الجامعة في شبكة الانترنيت : WWW.UNIV.EMIR.DZ

المصالح المركزية :

- رقم الهاتف - المحول – 031.92.21.34
- الفاكس : 031.92.21.41 (الخارج 213)
- التلكس : USIEA.DZ M: 92.954

تمّ الطبع بشركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ☆ عين مليلة
http://www.elhouda.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا
اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ
يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾.

سورة الأحزاب الآية: 23

صدق الله العظيم

الدفعة

السادسة عشرة

الشيخ الفضيل الورتلاني

— رحمه الله —

كلمة تقدير وعرفان

للأستاذ الدكتور عبد الله بوخلخال
مدير الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

تتشرف جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، بتخرج الدفعة السادسة عشرة والتي تحمل اسم المجاهد الثائر -الفضيل الورتلاني بعد أن تشرفت السنة الماضية بتخرج الدفعة الخامسة عشرة التي حملت اسم الشيخ أحمد حماني رحمه الله-.

فالشيخ الفضيل الورتلاني في حياته كان شديد التأثر بالإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس فقد تشبه به، وكان حريصا داعيا إلى بناء نهضة إصلاحية في الجزائر تعيد إلى الإسلام شبابه وازدهاره وتضيء لأبنائه طريق العز والمجد والكرامة. فكان الشيخ ثورة على البدع و الخرافات ودعوة إلى الإسلام الصحيح وإحياء اللغة العربية لغة الدين والوطن.

إن شيخنا المجاهد الفضيل الورتلاني أدرك رسالته في الحياة فحملها وأداها خير أداء جاهد بالفكر الحر والكلمة الصالحة وترك حياة الراحة والنعيم والأنس بالأهل في الوطن

وآثر حياة التعب والسهر والغربة واقتحام الصعاب ومنازلة الخطوب ومخاطر السفر ونذر نفسه في تنوير العقول وتهذيب النفوس.

وهاهي جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية اليوم تسعى إلى تحقيق هذه الأهداف التي ضحى من أجلها شهداء الجزائر وأبطالها عبر تاريخها الطويل وهي كثيرة نذكر منها :

01 – محاربة الجهل بالدين والانحراف عن فهمه: فإن انحراف المسلمين عن فهم دينهم وإدخال ما ليس فيه كان سببا من أسباب تخلف الجزائريين فأصبحوا أكلة الآكل وطعمة الطاعم، وحق فيهم قوله صلى الله عليه وسلم:" يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ قَالَ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ قَالَ قُلْنَا وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"[1].

02– محاربة الاستبداد والظلم : لأن الاستبداد يقلب السير من الترقي إلى الانحطاط ومن التقدم إلى التأخر ومن النماء إلى الفناء، فالاستبداد يلازم الأمة ملازمة الغريم الشحيح.وقد يبلغ فعل الاستبداد بالأمة أن يحول ميلها الطبيعي من طلب الترقي إلى طلب التسفل، بحيث لو دفعت إلى الرفعة لأبت وتألمت كما يتألم الأجهر[2] بالنور.

03– طلب الحرية: لأنها هي العامل الأساس لنهضة الشعوب إذ إن الدعوة إلى الحرية سبب في الترقي والتقدم لأن

---

1 - مسند أحمد ، كتاب الملاحم ، باقي مسند الأنصار .

2 - الذي لايبصر في النور

الإنسان يعيش في ظل العدالة والحرية نشيطا في عملها كما يعيش العامل بالحرية ناعم البال يسره النجاح ولا تقبضه الخيبة. فالحرية لها أثر سحري فعال في الفكر والنفس والعمل.

04- عدم الفرقة والتشتت: لأن الفرقة تعطل العمل الجماعي وتهدر الطاقة الجماعية فتتعطل قوى الأمة عن الفعل فيحصل التخلف والانحطاط وصدق الله إذ يقول:" وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ...".[1]

05- الدعوة إلى ربط العضوية بالأصالة الدينية وبث روح العزة والكرامة والتمسك بالهوية العربية الإسلامية والدعوة إلى تنشيط البحث العلمي المقارن لبيان أسباب تخلف المسلمين وترقي غيرهم في شتى المجالات وبيان المفارقة التي تدعو إلى التعمق في بحث واقع المسلمين وتشخيص حالهم.

بعد هذا العمل الدؤوب في نشر العلم والمعرفة والدفاع عن الوطن وقيمه تاقت نفسه إلى بارئها فجزاه الله عن أمته ووطنه خير الجزاء.

لهذا تتشرف جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية أن تطلق اسمه على هذه الدفعة تكريما له وعرفانا لما قدمه لهذه الأمة وهي دلالة سامية تاريخية ومستقبلية تربط الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل، وتعطي نفسا جديدا لحركة الإحياء التي وضع أسسها الشيخ عبد الحميد ابن باديس وتابع ترسيخها بين أبناء هذا الشعب رفاقه وتلاميذه البررة من أمثال الشيخ الفضيل الورتلاني رحمه الله.

---

1 - سورة آل عمران ، 103

وإن الجزائر اليوم في أمس الحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى العودة إلى رصيدها الفكري والروحي والثقافي والحضاري، وإلى أبنائها المخلصين الذين قدموا كل شيء من أجل الجزائر أرضا وشعبا وفكرا وحضارة بعزيمة قوية ومحبة خالصة وأخوة صادقة لكي تبقى الجزائر ثابتة على المبادئ والقيم الإسلامية الصافية النقية.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الخالص إلى جميع المشاركين والمشرفين على هذا العمل وأتمنى للجميع التوفيق والسداد والتقدير والعرفان.

والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين

قسنطينة في: **30** ربيع الأول **1424**
الموافق لـ **01** جوان **2003**

الأستاذ الدكتور عبد الله بوخلخال
مدير الجامعة

تقديـــــم

الدكتور/ إسماعيل سامعي
نائب مدير الجامعة للبيداغوجيا

إن الاحتفال بتخرج طالب، أو مجموعة من الطلبة بإنهائهم لمرحلة تعليمية تقليد عرفته حضارتنا العربية الإسلامية لأنها حضارة كان وسيبقى ميسمها العلم، ومن ثم فاحتفال جامعتنا بتخرج دفعة من طلبتها يعد تواصلا لهذا التقليد العريق، وإحياء لسنة حميدة من سنن التعليم لأمتنا العريقة.

وفي جامعـــة الأمير عبد القـــادر للعلوم الإسلامية، ومنذ سنة 2002/1423 عمل مسؤولوها على تطوير هذا الاحتفال بأن لا يكون طقوسيا ينتهي أثره بمجرد انتهاء مراسيمه، بل ليكون وقفة تخليد وتكريم، وإضافة متميزة تربط الماضي بالحاضر وتعبد طريق المستقبل، وذلك من خلال تسمية الدفعة المتخرجة باسم علم من أعلام الجزائر الذين أسهموا بأعمالهم وإنتاجهم الفكري في المسار التاريخي والحضاري للأمة، وكذلك بإنجاز وطبع كتاب يترجم لمآثر هذه الشخصية ويخلدها، ويكون علامة متميزة في مسار الجامعة، وإضافة علمية هامة، وستحمل الدفعة السادسة عشرة اسم علم من هؤلاء ألا وهو ((الشيخ المجاهد العالم الفضيل الورتلاني)) اعترافا لما لهذه الشخصية من أفضال علمية جهادية على هذه الأمة.

وإرساء هذا التقليد تطلب عملا علميا خاصا، وجهدا ماديا معتبرا، ونية صادقة، وحماسا فياضا وقبولا حسنا، وعليه نرى أنه من الواجب علينا تحديد خطوات إنجاز هذا الكتاب، ونشيد بكل الذين أسهموا في إنجازه، ونذكر أسماءهم أولا للتاريخ، وثانيا ليكونوا قدوة

حسنة لغيرهم، وثالثا شكرا وعرفانا و تقديرا لهم. قال تعالى : ((لئن شكرتم لأزيدنكم)). سورة إبراهيم 07.

الخطوات :

1 – اختيار شخصية الفضيل الورتلاني لتسمية الدفعة **16** تم داخل المجلس العلمي للجامعة.
2 – كلف السيد/ نائب مدير الجامعة للبيداغوجيا بالإشراف على إنجاز كتاب خاص بهذه الشخصية.
3 – قامت نيابة مديرية الجامعة للبيداغوجيا بنشر إعلان، ودعوة للأساتذة والباحثين والمهتمين للإسهام بعمل علمي يتناول أحد جوانب هذه الشخصية.
4 – جمعت الأعمال المشارك بها، وقام موظفو نيابة مديرية الجامعة للبيداغوجيا بإنجاز الأعمال التقنية.
5 – بعد التصحيح والتنظيم للأعمال في شكل كتاب حولت إلى المطبعة لطبعها.
6 – توزيع الكتاب يتم في حفل نهاية السنة الجامعية، وتكريم المتخرجين.

الشكر والتقدير والعرفان لكل من :

1 – رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور/ عبد الله بوخلخال
2 – المجلس العلمي للجامعة
3 – نائب مدير الجامعة للبيداغوجيا الأستاذ/ إسماعيل سامعي
4 – موظفو نيابة مديرية الجامعة للبيداغوجيا وهم :
- الشريف ربعي
- محمد فؤاد سعد الله
- صبرينة علاق
- نعيمة رواس

5 – المركز السمعي البصري بالجامعة

6 – الأساتذة الباحثون الذين أسهموا في إنجاز هذا العمل
7 – المصالح الإدارية وعلى رأسها الأمين العام للجامعة.
8 – كما نوجه شكرا وتقديرا خاصا لنجـــل صاحب هذا الكتاب الأستاذ/ حسنين الورتلاني على تعاونه معنا في إنجاز هذا العمل بتقديمه لنا الوثائق والصور الخاصة بشخصية الفضيل الورتلاني.

وختاما نتمنى أن نكون بهذا قد حققنا هدفين :

الأول تخليد وإحياء هذه الشخصية المجاهدة الثائرة العالمة " الفضيل الورتلاني ".
الثاني إرساء تقاليد علمية بجامعتنا، والتي من أهدافها خدمة التراث الحضاري لبلدنا وأمتنا.
قال تعالى:((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)) سورة التوبة 105.

والله ولي التوفيق

الدكتور/ إسماعيل سامعي

حياة الورتلاني

الفضيل الورتلاني

الأستاذ/ مسعود حسنين
نجل الفضيل الورتلاني

تلبية لطلب الأستاذ الدكتور إسماعيل سامعي نائب مدير جامعة الأمير عبد القادر الذي طلب مني مشكورا أن أزوده ببعض المعلومات الخاصة بحياة الفقيد والدي الشيخ الفضيل الورتلاني ونزوه عند رغبته فقد اكتفيت بكتابة نبذة عن حياته وذلك بمناسبة اختتام السنة الدراسية الجامعية لعام2003.

حيث قامت الأسرة الجامعية بمبادرة تتمثل بتكريم رجالات الفكر و العلم عرفانا لهم بالجميل و من بينهم الوالد.طيب الله مثواه–و ذلك بتسمية الدفعة المتخرجة لهذه السنة التي يحمل اسمه، كما تنوي إصدار كتاب يترجم لحياة الفقيد ويخلد مآثره.

و تعتبر هذه المبادرة محطة هامة نحي من خلالها ذكرى هذا الرجل الرمز الجدير بالوفاء و الإقتداء، و إفادة الأجيال الصاعدة من نضالاته وأثاره وجهاده، من أجل ثوابت و قيم هذا الوطن الأصيلة –لذلك سأحاول أن أعرض بإيجاز– وبقدر المستطاع و بقدر ما أتيح لي من المعلومات–خلاصة مجملة عن نشأة الشيخ الوالد ومراحل حياته منذ ولادته إلى تاريخ وفاته...ولا أدعي الإحاطة بكل ما يمكن أن يقال من هذه الحياة الكبيرة العريضة...لأن ذلك يتطلب سعة من الوقت الذي يسمح بتتبع الجزئيات والكليات، من حياة الفقيد، وإلقاء الأضواء الكاشفة عليها، في جميع جوانبها، وعسى أن يوجد من ذوي الأقلام الباحثة الدارسة، من يتصدى لهذا الموضوع الوثيق الصلة بتاريخ نهضة الجزائر الحديثة.

المولد و النشأة:

ولد العلامة المجاهد الشهيد الشيخ الفضيل حسين الورتلاني يوم :06 فبراير سنة 1900 بقرية (الجمعة) ببلدية بني ورتلان التي ترتبط إداريا بولاية سطيف، من أسرة دينية عريقة قطبها العلامة الرحالة الشيخ الحسين الورتلاني (الجد الأعلى) صاحب الرحلة المعروفة باسمه(بالرحلة الورتلانية) وفي هذه الأسرة نشأ الأستاذ الفضيل وترعرع وحفظ القرآن الكريم مبكرا وتلقى في مسقط رأسه دراسته الأولى، على يد علماء أجلاء اشتهروا بالفقه وعلوم القرآن وانقطعوا لخدمة الإسلام والمسلمين فغرسوا فيه الأخلاق الكريمة و الصفات الحميدة، ونكتفي بواحد منهم هو العلامة السلفي الأستاذ الجليل الشيخ السعيد البهلولي وغيره، وإلى جانب تعلمه هذا استفاد الأستاذ الفضيل من جو عائلته التي شرب من منابعها حلاوة الدين ولطافة الأخلاق وسعة الإيمان وعمق القيم والمثل العليا.

لقد قضى الفقيد شطرا من حياة شبابه في أحضان تلك المنطقة الجبلية الطبيعية الجميلة الناطقة بعظمة الكون وعجائبه التي كان يشم منها ريح القوة الجسدية والفكرية والخلقية حتى سنة 1928 التي اختارها تاريخا للالتحاق بجو علمي وثقافي وبعد خروجه مباشرة من أداء الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الفرنسي عاقد العزم على الالتحاق بسلك المتعلمين على يد الشيخ عبد الحميد ابن باديس بقسنطينة وكانت آنذاك مهوى القلوب ومطمح النفوس، ومعقل الآمال، وفي رحاب هذه المدرسة الباديسية، عمل على ملازمة الشيخ عبد الحميد ابن باديس فكان لا يفارقه على الدوام، يقول عنه العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في هذا المنحى: " لازم الفضيل الورتلاني إمام النهضة فتأثر بمنازعه الخطابية في حرب الضلال وسقيت ملكته بغيث ذلك البيان فأصبح فارس منابر وحضر اجتماعات جمعية العلماء العامة والخاصة فاكتسب منها الصراحة في الرأي، والجرأة في النقد، والاحترام للمبادئ ثم لابس السياسيين وغشي مجتمعاتهم فرأى من زيغ العقيدة وزيف الوطنية وانحلال الأخلاق ما جعله يثور عليهم".

تعيينه مساعدا للتدريس مع ابن باديس:

لقد استهوى الفضيل ابن باديس بما امتاز به على أقرانه من فصاحة اللسان و سعة الإدراك وقوة الحجة و لذلك اختاره شيخه ابن باديس لتمثيل جريدة (الشهاب) عبر الوطن وكان يتنقل باسمها في أنحاء الوطن يوضح خطتها و يكثر من أنصارها، فقام بهذه المهمة خير قيام، كما اختاره ابن باديس مساعدا له في التدريس لبعض المناهج المقررة من بداية السنة الدراسية 1934/1933. فنهض بالمهمة أيضا خير نهوض، وكان أبرز ما يميز دروسه أنه لا يكتفي بدرس المادة المقررة بل يتناول ما شاء من الأدب والتاريخ والسياسة وغيرها وهكذا كان شأنه في التربية والتعليم عندما أنيطت له هذه المهمة فكان منبعا فياضا وشعلة هادية ومربيا ماهرا.

رحلة الشيخ الفضيل الورتلاني إلى أوروبا و نشاطه فيها:

وننتقل الآن معه إلى فترة أخرى من حياته، بل من كفاحه و نضاله في سبيل دينه و وطنه على أننا سنرافقه في هذه المرة إلى خارج حدود هذا الوطن، ففي منتصف سنة 1936 شد الفضيل الورتلاني الرحال إلى العاصمة الفرنسية موفدا من طرف ابن باديس لنشر مبادئ جمعية العلماء المتمثلة في الدين واللغة والوطن بين صفوف أبناء الجالية الجزائرية بفرنسا.حيث يوجد هناك مئات الآلاف من المهاجرين المغتربة هناك فقرر بينه و بين نفسه أن يعمل شيئا لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من هؤلاء البؤساء المهددين بفقدان العقيدة الإسلامية والتخلي عن الشخصية الوطنية، وبعد كفاح مرير وعمل شاق متواصل ظهرت إلى عالم الوجود مدارس وأندية ثقافية تحت اسم (التهذيب) وغدت هذه المدارس تؤدي رسالتها التعليمية والتهذيبية من أقسام دراسية لتعليم اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

وفي النوادي لسماع محاضرات دينية اجتماعية توجيهية وكان الإقبال عظيما، ومما زاد هذه الحركة المباركة دعما و امتدادا انضمام بعض الشخصيات الدينية والعلمية والسياسية من مختلف الأقطار العربية والإسلامية مثل شكيب أرسلان وفضيلة الشيخ محمد دراز أحد كبار علماء مصر، والمفكر الإسلامي عمر بهاء الدين الأميري السوري، و الشيخ عبد الرحمان ناجـــي شيخ الأزهر،

وغيرهم، و هكذا امتدت جذورها منذ ذلك التاريخ من محيط الجزائريين على اختلاف مستوياتهم وطبقاتهم، إلى أن تحولت هناك في فرنسا بعد اندلاع ثورة التحرير المباركة.

محاولة لاغتياله في فرنسا:

وفي أواخر سنة 1938 أصبح الشيخ الفضيل عل يقين من أن السلطات الاستعمارية في فرنسا صممت على جعل حد لنشاطه و نضاله بعد أن دأبت على تعقب تحركاته .تمهيد الإلقاء القبض عليه، و لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل دبرت له مؤامرة لاغتياله أو لاختطافه، لذلك عقد العزم على السفر إلى مصر سرا دون أن يكون أحد على علم بذلك فغادر العاصمة الفرنسية قاصدا مصر تكلؤه عناية الله وهناك التحق بالأزهر الشريف معقل الأحرار أين أتم دراسته العليا إلى أن تحصل على الشهادة العالمية في أصول الدين والشريعة الإسلامية وهي أعلى شهادة تمنح للطالب هناك.

نشاط الفضيل الورتلاني السياسي بمصر:

لقد تمكن خلال إقامته بمصر من أن يؤسس بالقاهرة مكتبا يحمل اسم"مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، الذي كان يمثله هو، وقد نجح في إقناع الأخوة العرب الأشقاء لمد يد المساعدة للطلبة الجزائريين لاستكمال دراستهم بكليات وجامعة المشرق العربي ، فكانت هذه البعثات الطلابية العلمية أغلبهم من خريجي جامع الزيتونة بتونس بالإضافة إلى طلبة خريجي معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة على اعتبار أن هذا المعهد فرع من جامع الزيتونة السالف الذكر، فتوالت هذه البعثات تلو الأخرى نحو المشرق العربي حيث يتم توزيعها حسب الجدول الزمني المسطر من طرف لجنة خاصة التي أوكلت إليها هذه المهمة لإرسالها إلى هذه البلدان العربية الشقيقة التي قبلت باستقبالها و على نفقتها الخاصة بناء على الاتفاقيات التي تم التوصل إليها بينها وبين الأطراف المعنية وقد تمت هذه العملية في أحسن الظروف و كان ذلك سنة 1954 تحت إشراف مكتب جمعية العلماء بالقاهرة الذي كان يمثله الأستاذ الفضيل الورتلاني و تمعيته الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء.

استئناف نشاط الفضيل الورتلاني بمصر ومهمته في اليمن(1942-1948):

بعد خروجه من فرنسا سرا دون أن يكون أحد على علم بذلك شد الرحيل قاصدا بمصر عبر أوروبا نجاة بنفسه حيث كانت الإدارة الفرنسية له بالمرصاد تتعقب تحركاته تمهيدا لإلقاء القبض عليه إلا إنه استطاع وبعون من الله أن ينجو من هذه المكيدة حيث انظم إلى جامعة الأزهر الشريف ليواصل دراسته العليا هناك وهذا بعد الحرب العالمية الثانية حتى يبقى بعيدا عن عيوب الإنجليز بمصر، و لم يكن يقصر اهتمامه بالدراسة فقط، بل شرع منذ وصوله إلى مصر في إجراء اتصالات مكثفة مع زعماء وبعض القادة بالقاهرة و يشير هنا أحد رفاقه في مصر وهو الدكتور توفيق الشاوي بأن جمعية العلماء بالجزائر هي التي أوفدته إلى مصر بفرض إقامة علاقات وثيقة مع بعض الحركات الإسلامية فيها وفي مقدمتها جماعة الإخوان المسلمين التي يرأسها السيد حسن البناء الذي أصبح صديقا حميما له فيما بعد، ومهما تكن الأسباب التي دفعته للانتقال إلى مصر فإن ما يهمنا هنا هو العمل الذي باشره هناك حيث استطاع في ظرف وجيز أن يكسب أكبر عدد ممكن من الأصدقاء وينال رضا رجالات الدعوة والإصلاح ورجال الفكر والأدب والسياسة، الذين أصبحوا عونا له في الملمات في مصر، إلى أن أصبح مستشارا لبعض الهيئات في مختلف القضايا ليس فقط في مجال الدعوة و الإرشاد بل حتى في شؤون الاقتصاد و السياسة و الإدارة، واصبح بعد من كبار الدعاة في مصر لما كان يتمتع به من سمعة طيبة وشهده مستفيضة في الأوساط العلمية و السياسية، نظرا لحجم ما كان ينتجه من مقالات تنشر باستمرار في أمهات الصحف المصرية التي كان يعالج فيها أمورا مختلفة تتعلق بالدعوة الإسلامية وكل ماله علاقة بالدين وما يتعرض له الإسلام والمسلمين من نكسات.

مهمة الفضيل الورتلاني في اليمن و نتائجها:

نترك الآن دعوة الفضيل الورتلاني في مصر قبل استكمال كل أطوارها لنرحل معه إلى اليمن حتى نتتبع الأحداث كما هي حسب تسلسلها الزمني، وخير ما نبدأ به حديثنا عن مهمته هذه نقتبس ما جاء في كتاب"رياح التغيير في اليمن" لمؤلفه الدكتور أحمد محمد الشامي الذي غير مجرى تاريخ اليمن في القرن

الرابع عشر الهجري(العشرين الميلادي) وأنه حين وضع قدمه على أرض اليمن كأنما وضعها على"زر" دولاب تاريخها ، فدار دورة جديدة في اتجاه جديد لأن ثورة الدستور لسنة (1367هـ-1948م) هي من صنع الورتلاني.

من هذه الفقرة تدرك جيدا بأن الشيخ الفضيل قام بدور بارز في اليمن كما سنرى فيما بعد، كما سبق أن ذكرنا أنه عندما كان مقيما بالقاهرة كان يجري اتصالات مع بعض الزعماء و الملوك ورؤساء الدول المحبة للسلام ومن بينهم(زعماء حركة المعارضة اليمنية) المقيمين آنذاك في المنفى كلاجئين سياسيين في مصر، فتأسف من سوء أحوال العباد و البلاد و الأوضاع المتدهورة في اليمن رغم بقائها خارج دائرة السيطرة الاستعمارية الأوروبية ،فقصد الشيخ الفضيل اليمن مرتين الأولى سنة1947 لجس النبض هناك قدم نفسه للإمام يحي حميد الدين كممثل لشركة تجارية، (وهمية) هدفها الاستثمار في اليمن والقيام بإصلاحات اقتصادية، وقدم تقريرا مفصلا عن أوضاع اليمن وسبل إصلاحها، وإثر نجاح المشروع بدأ الشيخ الفضيل في إلقاء المحاضرات وتنظيم التجمعات فأحدث ثورة في الأفكار و المفاهيم خاصة في (صنعاء)(وتعز)(والحديدة) تعتبر هذه المدن من المدن الرئيسية، وكان يلتقي بالأمراء والعلماء ورجال الفكر والسياسة والآداب والمفكرين والطلبة ويناقشهم ويحاورهم في شتى مجالات الحياة، فتكونت إثر ذلك الصداقة فيما بينهم أكرموه أيما إكرام وأصبح الشيخ الفضيل صديقا حميما للجميع ويستشيرونه في كل كبيرة وصغيرة، وفي جو من الثقة والاحترام المتبادل، وبعد خمسة أشهر من الدعوة والتبشيع لرسالته النهضوية والإصلاحية أصبحت صنعاء واليمن وتعز، كلها كأنها ملغمة بالصواعق التي ستنتفض وتطيح بالإمام يحي وحكومته الديكتاتورية الباغية على حد تعبير المؤرخ اليمني المعروف عبد الله الشماخي، فقد امتدت ذبذبات أمواج التغيير لتغطي سماء اليمن كلها و لم يفلح النظام التبعي، التسلطي للإمام يحي في التصدي لحزب الأحرار الذي تزعم حركة الثورة على تغيير النظام في اليمن، حيث أدت هذه الاضطرابات في آخر المطاف إلى مقتل الإمام يحي يوم(17-فبراير-سنة 1948).

وتمكن من بعد ولي عهد سيف الإسلام أحمد من إخمادها وكان في مقدمة المتهمين زورا الشيخ الفضيل الورتلاني بحكم علاقته الطيبة مع أحزاب المعارضة في تدبير مؤامرة اغتيال الإمام يحي وأصدر الحاكم الجديد أمرا باعتقاله طالبا من الأنظمة الملكية السعودية ومصر والأردن منعه من دخول ترابها، لذلك بقي الأستاذ الفضيل أربعة أشهر كاملة على ظهر سفينة الزمالك تجوب به مياه البحر المتوسط والبحر الأحمر لا يرى إلا الماء والسماء وتنكر له أصدقاؤه من زعماء الحركة التحررية المغاربية المقيمين بمصر ،لكنه لم يفقد الأمل معتمدا على نفسه و على الله حيث كاب يراسل صديقه الفلسطيني أبو الحسن محمد علي الطاهر وغيره من أصدقائه الأوفياء ويمضي رسائله بأسماء مستعارة حتى لا ينكشف أمره لدى الخونة و المتواطئون الذين وقفوا ضده في هذه الحادثة التي أدت بمقتل الإمام يحي، وهو بريء منها براءة الذئب من دم عثمان كل هذه الحقائق نشرها الدكتور أحمد الشامي في كتابه"رياح التغيير في اليمن" بكل تفاصيلها ،و قد أشرنا سابقا بأن حساد وأعداء الفضيل الورتلاني استغلوا هذه الأزمة للنيل والتشفي منه لكنه في الأخير انتصر عليهم جميعا ،فكانت بعض الصحف المأجورة تصوره بأنه يختص أكياس من الذهب التي يزعمون أنها حملها معه من اليمن ولقد علق الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ومحي الدين القليبي على هذه الاتهامات الباطلة التي لا أساس من الصحة.

الأستاذ الفضيل الورتلاني ومساهمته في الثورة التحريرية الجزائرية:

و الآن أود أن أقف في هذه المحطة وقفة قصيرة نستطيع فيها قليلا من كثير، مما قام به الفضيل الورتلاني بعد قيام ثورة التحرير المباركة منذ اندلاعها في الفاتح من نوفمبر سنة 1954 إلى أن توفاه الله (في 12-مارس-1959) التي ظل ولا يزال يعد لها..وهو يعتقد أن يومها آت لا ريب فيه، وقد أتى عليه هذا اليوم حقا وصدقا وغدا واقعا ملموسا ما كان يظنه بعضهم من قبيل الخيال...

انهم "يرونه بعيدا ونراه قريبا" وإذا رأينا وسمعنا عن موافقة النضالية الثابتة ما نعتبره فعلا إعدادا للثورة المنتظرة فكيف به وهو يرى نارها تلهب ظهور المستعمرين الغاصبين...ونورها يضيء طريق الجهاد المقدس أمام أبناء هذا الوطن الذين باعوا أنفسهم لله ولهذا الوطن الذي يهون في سبيل حريته واستقلاله كل

عال ونفيس من التضحيات...ولهذا فقد كان الشيخ الفضيل حركة دائبة ومن اللحظة الأولى التي أعلن فيها الشعب الجزائري كفاحه المسلح ضد المستعمر الغاشم ولم يتوقف عن توجيه نداءات إلى أحرار العالم الشرفاء المحبين للسلام مبينا صدق القضية الجزائرية و مطلعا إياهم على كل ما يجري في أرض الوطن من الجرائم الوحشية التي يرتكبها غلاة الاستعمار الفرنسي في أرض الجزائر الحبيبة،فلقد كان قلمه ولسانه نارين على المستعمر الغاشم ،الذي فضحه أمام الرأي العام العالمي.

إن مساهمته في الثورة التحريرية المباركة تمثلت في سلسلة من المقالات التي يدبجها وينشرها تباعا في مختلف صحف العالم وفي هذا الصدد وجه الشيخ الفضيل الورتلاني وبمعية الشيخ الإبراهيمي من القاهرة نداء إلى الشعب الجزائري يوم :15 نوفمبر 1954 ،ونداء ثان يوم: 01 نوفمبر 1954 ،يدعو فيهما الشعب الجزائري إلى مواصلة الكفاح المسلح إلى آخر قطرة من دمائه إلى أن يتحقق النصر بحول الله،وقد تحقق بالفعل بفضل أولئك الأبطال الميامين من الشهداء الذين قال الله تعالى في حقهم "**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**" صدق الله العظيم.

الخاتمة:

وللعلم بأن الشيخ الفضيل الورتلاني كان عضوا قياديا بمكتب قيادة جبهة التحرير الوطني بالقاهرة منذ سنة 1954 ،وتقلد عدة مسؤوليات إلى جانب رفاق الجهاد والنضال من أعضاء الجبهة المتواجدين بالقاهرة سواء من الجناح السياسي أو العسكري كل في مهمة ،وقد انتقل بعد ذلك إلى تركيا في أواخر سنة 1958 ممثلا للثورة الجزائرية هناك وقد استطاع بفضل فصاحة لسانه وعبقريته ومواقفه الشجاعة وتجربته وحنكته السياسية أن يقنع الحكومة التركية التي كانت آنذاك "عضوا في الحلف الأطلسي" بتقديم يد العون والمساعدة للثورة الجزائرية ماديا ومعنويا وبفضله وقع تحول محسوس وملموس تجاه القضية الجزائرية وهذا باعتراف الجميع ،ونظرا لما تحمله الفقيد من مشاق وأتعاب وما يعانيه من أمراض مزمنة فتاكة أرهقته عن أداء رسالته الجهادية لفائدة الثورة الجزائرية وكل القضايا العادلة في العالم العربي والإسلامي، منذ ما يقرب من

ثلاثين (30) سنة قضاها في النضال والجهاد وما اكتنف ذلك من أخطار ومؤامرات تدبر له لاغتياله وللقضاء عليه وعلى حياته كل ذلك أدى به إلى أن أصيب بعدة أمراض مزمنة استعصى علاجها فاضطرته في آخر المطاف إلى الدخول إلى المستشفى بأنقرة-عاصمة تركيا-حيث أجريت له عملية جراحية فكانت خاتمة حياته.وشاء القدر بعد عمر حافل بجلائل الأعمال أن تكون النهاية في أنقرة يوم 12مارس 1959 وفي يوم 12 مارس سنة1987 .نقل رفاته إلى أرض الوطن ليدفن بمسقط رأسه ببني ورتلان ولاية سطيف إلى جانب رفاقه المجاهدين بمقبرة الشهداء، رحمه الله واسكنه فردوس جنانه.

المجد و الخلود لشهدائنا الأبرار

مسعود حسنين

نجل الشهيد الفضيل الورتلاني.

الأستاذ الورتلاني مع الإمام بن باديس وقد أشير إليه بعلامة السهم

المجلس الإداري لجمعية العلماء في اجتماع عام برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس وبجانبه الشيخ
الفضيل الورتلاني أخذت الصورة (سنة 1934)

الفضيل الورتلاني ذلك المعلوم المجهول

الأستاذ/ محمد الهادي الحسني

قال المرحوم محمد العيد آل خليفة:

"وبعثنا الفضيل اجرأنا قلبا واقوى دعاتنا افصاحـــــا
كم به طوح الزمان طويلا فتحدى زمانه الطواحـــــا
وتصدى له العدو ولكن كان أقسى على العدو جماحا "

فمن هو هذا الفضيل الاجرأ قلبا، الأقوى الدعاة، المتحدى الزمان والاقسىعلى العدو؟

إنه أحد أبناء هذه الأرض التي انجبت الغر الميامين و لم تطأطئ إلا لباريها الجبين، ولد ونشأ في بني ورتيلان وإليها نسب وبها تعلم المبادئ الأولى للدين الإسلامي الحنيف والقواعد الأساسية للغة العربية، ثم تناهت إلى سمعه أصداء عالم في قسنطينة يهدي الأمة إلى صراط العزيز الحميد ويعلم شبابها كيف يعيد لقومه من مجدهم ما قد ذهب فعقد الفضيل عزما وتزود حزما واتخذ إلى ذلك العالم الجليل سبيلا وانضم سنة 1930 إلى تلك السلسلة المصطفاة من الشباب الذين كان ابن باديس يطوق بها ذلك الأخطبوط الفرنسي العفن المسلط على الجزائر الطاهرة.

رأى الإمام ابن باديس في ذلك الشاب عزيمة قوية ونباهة كبيرة وبأسا شديدا فقر به إليه وأدناه منه وعهد إليه بالاشراف والعناية ببعض الطلبة وها هو أحد زملائه في تلك الفترة يسجل شهادته عن الفضيل فيقول :"كان يسعى دوما لربط صلاته بطلاب الشيخ الواردين من مختلف مناطق الجزائر ويتمثل لنا

يومئذ كأنه الأخ الأكبر لأولئك الطلاب يريد أن يخرجهم من حالة الخمول التي جاؤوا عليها في أقصر مدة وأن يبعث فيهم الحيوية والنشاط والثقة بالنفس قبل أن يتاح لهم ذلك عن طريق دروس شيخهم،كان يشرف على تنظيم ندوات خطابية للطلبة ليلة يوم العطلة، موضوعات أحاديثه تتناول القضايا الاصلاحية والاجتماعية والسياسية والوطنية ولا يغفل قضايا الساعة وهي محاربة الاستعمار وأعوانه واذنابه ولم يتردد في نقل نفس النشاط إلى أوساط أخرى في قسنطينة فنراه يجادل ويحاور في المقهى وفي المطعم وفي المجالس الخاصة والعامة وحتى في الشارع أحيانا.(علي مرحوم مجلة الثقافة ع 34.) .

قام الفضيل بجولات عبر الجزائر معرفا بمجلة الشهاب داعيا إلى الاشتراك فيها حاثا الشباب على الالتحاق بدروس الإمام في قسنطينة وقد استعان به الإمام ابن باديس في بعض الدروس كما اختاره لمرافقته في بعض جولاته في القطر دليلا على المكانة الخاصة التي احتلها الفضيل في قلب الإمام ابن باديس.

قرر الإمام — وقد اطمأن إلى ما يتمتع به تلميذه من صفات جليلة- أن يلقي على عاتقه مسؤولية أكبر وأن يحمله أمانة أثقل وأن يفتح به جبهة أخطر ويغزو به ميدانا أوعر فأمره أن يجاوز البحر إلى فرنسا حيث يوجد جزء عزيز من أبناء الوطن مهدد في عقيدته ولسانه وأخلاقه.

لم يتردد الفضيل ولم يهن رغم صعوبة المهمة وشق طريقه في البحر سربا وألقى عصاه الإصلاحية في باريس فإذا هي تلقف ما يحيط بأولئك المغتربين من بدع وتلتهم ما يتعرضون له من منكرات، وأنشأ مدارس وأندية تحت اسم "التهذيب".

وفي باريس كان أثر أعمال الفضيل واضحا فقد جمع صفوف المسلمين ونور عقولهم وربطهم بقضايا أمتهم وصار المشرقي يعرف محنة أخيه في المغرب وأصبح المغربي على علم ودراية بأدواء أخيه في المشرق وقد وصف أحد الذين عاصروا نشاط الفضيل في فرنسا فقال :"لقد كان للورتلاني أعظم جهاد في هذه البلاد الأوروبية وفي العاصمة الفرنسية بالذات حتى أنك لتشعر في أيامه وأنت بباريس كأنك في إحدى عواصم الشرق من حيث الجو الاسلامي والعربي ففي

باريس وحدها تم فتح خمسة عشر ناديا وما زلت أذكر تلك الاجتماعات التي كان يخطب فيها على الآلاف المؤلفة من المسلمين ونخبة من رجال الإسلام على اختلاف أوطانهم.

ليس معقولا أن تسمح فرنسا لرجل مثل الفضيل ولنشاط مثل ذلك النشاط بالاستمرار وراحت ترصد كل حركة من حركات الفضيل وتسجل كل عمل من أعماله وقررت التخلص منه ولكن الله أنجاه من كيد فرنسا وخلصه من مكرها فيسر له الالتحاق بالقاهرة التي استغل وجوده فيها لاستكمال عدته العلمية وزاده المعرفي.

وجد الفضيل في مصر ثلة من أبناء الجزائر الذين سبقوه إليها مثل الشيخ محمد الخضر حسين وأبي اسحاق طفيش والصديق سعدي وغيرهم فشارك معهم في التعريف بقضية وطنه الصغير-الجزائر-وقضية وطنه الكبير-المغرب العربي قبل أن يحتضن هموم أمته الاسلامية كلها.

كان من أهم أعماله الكثيرة والكبيرة في مصر تأسيسه اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر وجمعية الجالية الجزائرية بمصر التي ضم إليها كبار الشخصيات الموجودة بمصر من العالمين العربي و الاسلامي، كما ساهم بنصيب كبير في إنشاء "جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية" التي انتخبه أعضاؤها أمينا عاما لها وقد قدمت هذه الجبهة خدمات جليلة للقضية المغاربية مما أزعج السفارة الفرنسية في القاهرة.

ولم ينس الفضيل أن يؤسس مكتبا للجمعية التي أحيت الجزائر وأيقضت الجزائريين-جمعية العلماء-وتمكن بنشاطه ومثابرته أن يرفع للجزائر ذكرا، ويعيد لأبنائها اعتبارا بما ألقي من دروس ومحاضرات وما كتب من مقالات وما أرسل من برقيات وما عقد من اجتماعات ويشهد له من جالسوه أنه كان يستغل كل فرصة تسنح للتذكير بالجزائر وانه كثيرا ما كان يختلق هذه الفرص ولاشك أن جهود الفضيل كانت من العوامل التي ساعدت على دعم المشارقة لجهاد الجزائريين عندما بدأ سنة 1954م.

ومن الأمور الجديرة بالذكر في جهاد الفضيل نشاطه في اليمن ومحاولاته إصلاح الأوضاع هناك حيث وجد رجلا يملكهم هو الرائد في الفساد والقائد في الضلال، وقد وجد فتية اليمن في الفضيل بغيتهم فالتفوا حوله و ألقوا إليه السمع وكان من ثمار أعماله تلك الثورة التي أطاحت بالمفسدين في اليمن سنة 1948 ولكن المفسدين المحيطين باليمن تنادوا إلى إفشال تلك الثورة و إطفاء نورها كما سعوا بعد ذلك بثلاثة وأربعين عاما إلى تحطيم العراق بتمكين الأمريكيين والفرنسيين و الإنجليز و اليهود من استعمال الأرض المقدسة في تلك المؤامرة وذلك العدوان.

وقد تمكن بعد محن كبيرة أن يعود إلى مصر فلقي مرة أخرى ما هو جدير به من المعاملة الطيبة وتعاون مع الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي التحق هو الآخر بالقاهرة، وكان أهم أعمال الفضيل في هذه الفترة هو الإشراف على الطلبة الجزائريين في الأقطار العربية والسهر على شؤونهم وتيسير السبل أمامهم لتحصيل العلم الذي يخدمون به وطنهم.

كان صوت الفضيل أول صوت أيد ثورة نوفمبر وباركها فقد أصدر بيانا يوم 3 نوفمبر 1954 يحض فيه المجاهدين على مواصلة جهادهم ويدعو الجزائريين إلى مساندة أولئك المجاهدين ثم عزز ذلك البيان بآخر في 15 نوفمبر بمشاركة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

يبدو أن نشاط الفضيل وسمعته قد أزعجت بعض الذين كانوا يريدون توجيه الجهاد الجزائري توجيها سيئا وأن يستغلوه لمآربهم الشخصية فتآمروا مع القيادة المصرية آنذاك ليثبتوا الفضيل أو يقتلوه ولكن الله نجاه مرة أخرى من كيد الكائدين وتربص الخائنين وقد انتهى به المطاف ممثلا للجهاد الجزائري في تركيا إلى أن التحق بربه راضيا مرضيا في 12 مارس 1959، ولم يسمح الحاقدون على أمجاد الجزائر بنقل رفاة الفضيل إلى وطنه الذي منحه كل شيء إلا منذ بضع سنين.

كتبت عنه مجلة الأمانة" الأستاذ الفضيل الورتلاني الجزائري أحد الذين أنجبتهم العروبة مفطورين على حبها والذود عن حياضها وأحد الذين جندهم الإسلام للريادة والقيادة على سنن أولى العلم والإفادة".

وكتب عنه الأمير مختار الجزائري في مجلة "شباب سيدنا محمد" قائلا: "لقد رافقت الأستاذ الورتلاني في مراحل من الجهاد وفي جميعها وجدته ذلك المجاهد وفي جميعها كان مثال الإخلاص ومنبع الحماس". أما الدكتور محمد لمبارك فقال: "إذا عرفتم الورتلاني عرفتم صفحة من صفحات الجهاد في هذا العصر".

رحم الله الفضيل وحقق أمانيه في وطنه الصغير وأمته الكبرى بإعلاء كلمة الإسلام.

نقلا عن جريدة المساء الصادرة بتاريخ 18 مارس 1991،
وبإذن من صاحب المقال عبر الهاتف، وذلك
يوم 2003/5/17 على الساعة 11و30د صباحا.

أ/ محمد الهادي الحسني

الشيخ الفضيل الورتلاني وهو في ريعان الشباب وباللباس الأزهري عندما كان طالبا بكلية أصول الدين والشريعة الإسلامية بالأزهر الشريف بمصر سنة(1939)

صورة تذكارية من باريس سنة (1936).

تمثل الصورة ممثل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ الفضيل الورتلاني وبجانبه الشيخ السعيد الصالحي والشيخ السعيد البيباني في اجتماع عام بالجالية الجزائرية بنادي التهذيب.

علم ورمز للنضال والجهاد

عبد الحفيظ أمقران الحسني
- وزير الشؤون الدينية السابق -

كلما حل شهر مارس إلا وذكرنا بما قدمه الشعب الجزائري من تضحيات جسام على مذبح الحرية واسترجاع السيادة الوطنية، تتمثل في استشهاد عدد ضخم من أبنائه وبناته كثمن في الأرواح فضلا عن الممتلكات والأموال وما إلى ذلك من متاع هذه الدنيا الذي يزداد وينقص ويضمحل ويعود. ومن بين هؤلاء شهداء أبرار وعظماء كبار حولهم الجهاد الشريف والعقل الحصيف والعزم الذي لايلين إلى أعلام عالية ورموز سامية في النضال والجهاد أثناء الثورة التحريرية الكبرى حين أشعلوا فتيلها في غرة نوفمبر 1954م، فتفجرت الطاقات الشعبية بفضلهم لخوض غمار المعركة المصيرية ضد المحتلين الغاصبين فكانت النهاية لمأساة دامت أكثر من قرن والبداية لعهد جديد في حياة الكرامة والعزة الوطنية.

هناك من هؤلاء العظماء والشهداء من أخذ حقه ولا يزال في التمجيد والتذكير وإقامة الذكريات والعناية بخصالهم وتضحياتهم أملا في أن يكونوا قدوة للأجيال الصاعدة وتأدية لأقل الواجبات من طرف شعبنا بالوفاء لأرواحهم الطاهرة أمثال بن بوالعيد، ديدوش مراد، ابن عبد المالك رمضان، باجي مختار، اعميروش، الحواس، لطفي، بوقرة، سويداني بوجمعة، عبان رمضان وغيرهم كثيرين ممن شملتهم عناية الصحافة ووسائل الإعلام واهتمت بهم بعض الهيئات والمنظمات بدون أن ننسى التذكير ببعض الأخوات من النساء الشهيدات

كمليكة قايد، وحسيبة بن بوعلي ووريدة مداد والأختين مريم وفضيلة سعدان وغيرهن من نساء وبنات هذا الشعب في الأرياف والمدن.

ومن واجب التذكير بغيرهم من الشهداء الكرام جنودا وفدائيين ومسبلين مجهولين غير مشهورين سقطوا كلهم في ساحة الوغى والشرف سيما في أرض العدو نفسه وفي غيرها من البلدان التي سجلوا بها صفحات مشرقة من النضال الشاق في أحلك الظروف ولفظوا أنفاسهم الأخيرة بها في المعتقلات والسجون أو رماهم العدو في الأنفاق والدهاليز والأنهار فجميع هؤلاء يستحقون منا التخليد والتذكير في كل وقت ومناسبة واعتراف بتضحياتهم الجسيمة ووفاء لأرواحهم الطاهرة وقد استرجعت البلاد رفاتهم الزكية لدفنها في مقابر الشهداء بأرض الوطن.

غير أن البعض من هؤلاء قلما يأخذ حقه من التمجيد والتنويه بنضاله المرير عبر السنين وجهاده النبيل أثناء الثورة التحريرية، وعلى سبيل المثال وليس الحصر يأتي في المقدمة الأستاذ الداعية والوطني الغيور على وطنه الصغير قبل الكبير والأكبر المجاهد الشيخ الفضيل الورتلاني هذا الشهيد الشريف الذي قضى أكثر من ربع قرن من حياته في سبيل إذكاء الروح الوطنية والجهادية بين أبناء الجزائر أولا وبين أبناء الشعوب العربية والإسلامية ثانيا من أجل استنهاض الهمم وشحذ العزائم للقيام بثورة عارمة شاملة في أرجاء العالم العربي والإسلامي في طريق التحرر والاستقلال وإنهاء التبعية وانبعاث الأمة الإسلامية من جديد لتستعيد مسيرتها النبيلة في موكب التقدم، والحضارة البشرية.لقد عرف إخواننا في المشرقين العربي والإسلامي أكثر مما يعرفه أبناء وطنه في الجزائر سيما بعد الأربعينات من هذا القرن حتى لقبوه بالمجاهد العظيم والداعية الكبير والخطيب المصقع الذي تهفو إلى مسامعه أبرز الشخصيات العلمية والسياسية والأدبية، فضلا عن الجماهير في كل الأقطار والدول التي زارها وبلغ فيها رسالة الجهاد والتضامن الفعال مع الجزائر المجاهدة بالدرجة الأولى، ثم بالدعوة إلى نفض غبار الجهل والكسل والجمود بالعودة إلى الإسلام الصحيح دين الفطرة والثورة من أجل تحرير العقول والقلوب تحرير الأوطان والأموال في الجيوب.

هذا الورتلاني العظيم الشهيد الذي تمثل فيه خصال البطولة والشجاعة الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس فقربه إليه في حياته واصطفاه ليكون خير داعية ورمز نضال في أرض الاستعمار نفسه ليخوض معركة النهضة والتوعية الوطنية وإعداد الجالية الجزائرية ليوم النفير والمعركة الفاصلة.

إنه الرجل المقدام الجريء الذي استطاع النجاة من مؤامرة اغتيال دبرها الاستعمار في باريس بفضل مساعدة الأمير شكيب ارسلان إنه صاحب الفضل في قيام ثورة حقيقية باليمن وإخراج هذا البلد العربي الشقيق من ظلمات الجمود والتخلف الحضاري باعتراف أبنائه المخلصين من الشخصيات السياسية البارزة اليوم في الجمهورية اليمنية.

أما نضاله من أجل الجزائر والتعريف بها وبقضية الاستعمار الفرنسي هذا الأخطبوط الذي أصيبت به منذ الاحتلال فإن الحديث عنه من قبيل التعريف بما هو معرف واضح منذ أن حلت قدماه بالقاهرة مع بداية الحرب العالمية الثانية واحتكاكه بالأوساط العربية الإسلامية الفاعلة والمهتمة بقضايا المسلمين عامة والأمة العربية على وجه الخصوص كالأزهر وجامعة الدول العربية، والهيئات والأحزاب الوطنية للتعريف بقضية الجزائر والتمهيد لمساعدة شعبها يوم ينادي المنادي للجهاد واستئناف الثورة المسلحة.

فكان الشيخ الفضيل الورتلاني طوال إقامته بالقاهرة المدير والمخطط والمحرك المستمر للعناصر الوطنية من أجل إنشاء مكتب المغرب العربي وجبهة الدفاع عن شمال إفريقيا وأخيرا كان عضوا بمكتب قيادة جبهة التحرير الوطني بالقاهرة في فيفري 1955م وهذا بعد نشره لنداء وبيان موجه إلى أبناء الجزائر في 03 نوفمبر 1954م ونداء ثاني يوم 15 نوفمبر 1954 بمعية المرحوم الشيخ البشير الإبراهيمي يدعو فيها إلى الالتحاق بالمجاهدين في معاقل الثورة المسلحة وهذه الحقائق جميعها مسجلة في وقتها بالصحف المصرية والمشرقية ومدونة في كتاب الشهيد – الجزائر الثائرة– الذي طبع بإذنه في بيروت مؤخرا.

غير أن بعض الظروف و الملابسات أرغمته على الخروج من القاهرة والالتحاق بعاصمة لبنان بيروت لمواصلة نضاله وجهاده في سبيل تحرير الجزائر بواسطة الكلمة وبالقلم الفعال ولسان الصدق والإخلاص للوطن عن طريق

الاتصالات بالشخصيات السياسية المعتبرة من ملوك ورؤساء ووزراء خلال الزيارات والجولات التي كان يقوم بها عبر الأقطار العربية والإسلامية وحتى الأوروبية في بعض الفترات من حياته النضالية الطويلة.

وقد انتقل الأستاذ الفضيل الورتلاني في أواخر 1958م إلى تركيا ممثلا جبهة التحرير الوطني وداعية لقضية الجزائر العادلة بعاصمتها أنقرة حيث استطاع بفضل إخلاصه وفصاحة لسانه أن يقنع الحكومة التركية – وهي عضوة في الحلف الأطلسي- بعدالة قضية الجزائر وتقديم يد المساعدة المعنوية والمادية للشعب الجزائري وبفضله وقع تحول محسوس في موقف هذه الحكومة لصالح الثورة التحريرية.

ونظرا لما تحمله من مشاق وأثقال طوال ما يقرب من ثلاثين سنة قضاها في النضال والجهاد وما اكتنفها من أخطار ومؤامرات على حياته والقضاء على جهاده أصيب بعدة أمراض مزمنة أفقدته في الشهور الأخيرة بعض القوى الجسمية واضطرته للدخول إلى مستشفى أنقرة أين وافته المنية يوم 12 مارس 1959 والتحق بربه كشهيد في سبيل الوطن عانقت روحه الطاهرة أرواح إخوانه وزملائه الشهداء في أرض الوطن وفي مثل هذا الشهر بالذات الذي سمي بحق شهر الشهداء.

وقد أعيدت رفاته إلى أرض الوطن ودفن وسط حفل مؤثر خالد بمقبرة الشهداء في 12 مارس ببني ورتيلان مسقط رأسه بحضور عدة شخصيات سياسية وثقافية على المستوى الوطني والسلطات الولائية المحلية وجمع غفير من المواطنين ورفقائه في النضال والجهاد بنوعية الإصلاحي والتحرري.

عن جريدة المساء رقم 1075 الصادرة بتاريخ
14 مارس 1989 وبإذن صاحب المقال عبر الهاتف وذلك
يوم 18 ماي 2003 على الساعة 10 و30 د صباحا.

أ/ عبد الحفيظ أمقران الحسني

جهاد الورتلاني

صورة تذكارية من قسنطينة سنة (1932)

وتمثل الصورة الأستاذ الشيخ الفضيل الورتلاني مع تلاميذه بمدرسة التربية والتعليم.

الشيخ الفضيل الورتلاني رحمه الله
المجاهد الثائر

د/ بلقاسم شتوان
جامعة الأمير عبد القادر

تمهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وأصلي وأسلم على أحمد صاحب الرسالة ومنبع الهداية، والمجاهد في سبيل الله قال تعالى :((**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير**)) [1] أمره ربه بمجاهدة الكفار المعتدين بالسلاح والمنافقين بالاحتجاج وأخذهم بالشدة والغلظة [2] وذلك إرعابا وإذلالهم حتى تنكسر شوكتهم وتلين شكيمتهم [3] وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

مولده ونشأته:

فها نحن اليوم وبمناسبة تخرج الدفعة السادسة عشرة والتي سميت باسم المجاهد الثائر تكريما له نزيح الغبش [4] والنسيان بكتابة هذه الكلمات المتواضعة لنخلد بها ذكراه في عقول وقلوب الأجيال الشابة وذلك بسرد بعض الخصال لهذا المجاهد الثائر الفذ الذي أنجبته الجزائر وإخوانه الأحرار في أحلك فترة من الزمن كانت الجزائر في حاجة إلى أمثالهم في مشارق الجزائر ومغاربها وشمالها وجنوبها إنه الشيخ الفضيل بن محمد السعيد بن فضيل المعروف بالورتلاني .

---

1 – سورة التحريم الآية 09

2 – الكشاف للزمخشري ج 04 ط دار المعرفة ص 117

3 – صفوة التفاسير محمد علي الصابوني مجلد 03 ط دار القرآن الكريم ص 411

4 – الغبش : بفتحتين البقية من الليل . وقيل ظلمة آخر الليل .مختار الصحاح لأبي بكر الرازي ضبط وتخريج وتحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا ط دار الهدى – الجزائر ص 301

ولد الثائر الحر بقرية آنو- ببني ورتلان التي ترتبط إداريا بولاية سطيف، وفي هذه المنطقة الجبلية نشأ وترعرع وحفظ القرآن الكريم وزاول دراسته الابتدائية، وتلقى فيها مبادئ العلوم على يد علماء كبار من مشايخ القرية أمثال الشيخ العلامة الفقيه سيدي الشيخ السعيد البهلولي، وإلى جانب تعلمه هذا فقد استفاد البطل الثائر من جو عائلته حلاوة الإيمان وخصال الأخلاق الحميدة وعمق القيم والمثل العليا .هكذا قضى الشيخ الفضيل الورتلاني شطرا من حياة شبابه في أحضان منطقة جبلية جميلة وعرة المسالك والدروب اكتسب منها القوة الجسدية وقوة الوقوف إلى جانب الحق ومواساة الضعيف .

طلبه العلم بقسنطينة:

وفي سنة 1928م سافر إلى قسنطينة ليختار الشيخ عبد الحميد بن باديس رجوه العلمي وملازمة الدرس النظري والتطبيقي، حيث تعلم من شيخه معاني الجهاد في سبيل الإسلام والعروبة والوطن، وكيفية تحرير العقل من ظلام أمية الحرف والفكر والخرافة والكسل والتسليم لما بثه الاستدمار عن طريق أعوانه وسماه القضاء والقدر، ويشاء القدر أن ينتقل الشيخ إلى مصر في مهمة نضالية فيلتحق بالجامع الأزهر ويتابع دراسته إلى أن حصل على الشهادة العالمية وهي أعلى شهادة تمنحها جامعة الأزهر الشريف.

إن ملازمة الفضيل الورتلاني لشيخه وصديقه ابن باديس وحبه العميق له كان له الأثر العميق فكان من نتائجه أن أصبح متشبعا بحيويته وبفكره الوقاد فأصبحت روحه وثابة وعقله مستنيرا يحب التطور الفكري ويدعو له، وما إن اكتشف الإمام عبد الحميد في تلميذه هذه العلامات حتى صار معجبا به وراح يصطحبه في رحلاته وجولاته عبر الوطن الحبيب، ولم يكتف الشيخ عبد الحميد بن باديس بهذا فحسب بل قويت ثقته فيه إلى درجة أن استخلفه في كثير من الاجتماعات والمناسبات التي كان يحضرها مع الشيخ، ولقد ولدت هذه المواقف في بطلنا الشيخ الفضيل حبه الشديد للزيارات الميدانية والاتصال بطبقات الشعب الواسعة وعقد الصلة مع أبناء وطنه فقام بالجولات العديدة يدعو من خلالها الشبان إلى الالتحاق بدروس الشيخ ابن باديس بالجامع الأخضر بقسنطينة مدينة العلم، ولم يقف عند هذا الحد بل ساعده نبوغـــه العقلي والفكري في أن

يصبح مساعدا للإمام في التدريس لبعض المناهج المقررة وذلك من بداية السنة الدراسية 1933-1934م حيث أدى المهمة التي كلف بها على أحسن وجه، وإلى جانب هذا أصبح ممثلا لمجلة الشهاب واستطاع أن ينتزع إعجاب القراء به، و لم يقف عندها فحسب بل كان ينشر فيها العديد من البحوث والمقالات القيمة التي كان يعالج فيها القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية.

فقد شهدت سنوات مابين 1932-1934م نشاطا فكريا سواء على مستوى النشر في المجلة أم على مستوى الدعوة إلى طلب العلم عند الشيخ الإمام عبد الحميد فقد أدت دعوته إلى إقبال أعداد معتبرة من طلبة العلم على مدينة العلم والعلماء قسنطينة الهواء .

شهادات بعض من عرفوه:

يقول عنه رفيقه الأستاذ بعزيز بن عمر :"عرفت الأخ الأستاذ الورتلاني أيام الطلب بقسنطينة وهو شاب يتقد ذكاء ويفيض نبلا وإحساسا يبسم للحياة فلا نراه إلا متفائلا بالمستقبل ويتطلع نحو الأ فاق البعيدة، فتبدو أمامه العقبات الكبيرة، ولكنه ليس الذي يرهب العقبات فيحجن عن اقتحامها بل أن له عزمه ما يذيب كل عقبة ومن نفسه الوثابة وما يتغلب به على كل ما تقيمه الحياة المتجهمة في طريق العاملين المخلصين "[1]، ويقول الأستاذ الراحل علي مرحوم : "حينما التحقت بالدروس المشار إليها وجدت الشيخ الفقيد ضمن الطبقة الرابعة في أكتوبر 1932 م، وقد لاحظت منذ أول لحظة عرفته فيها أنه يتحلى بروح قوية ويمتاز بحيوية دافقة ونشاط ذاتي وحماس متزايد وكان يسعى دوما لربط صلاته بطلاب الشيخ الواردين من مختلف مناطق الجزائر ويتمثل يومئذ كأنه الأخ الأكبر لأولئك الطلاب يريد أن يخرجهم من حالة الخمول التي جاءوا عليها في أقصر مدة وأن يبعث فيهم الحيوية والنشاط والثقة بالنفس قبل أن يتاح لهم ذلك عن طريق دروس شيخهم [2]، ويقول عنه العلامة الشيخ البشير

---

1 - البصائر العدد8 ص1 السنة 2 سبتمبر 26سنة 1947. أنظر الجزائر الثائرة للشيخ الفضل الورتلاني ط دار الهدى عين مليلة الجزائر ص 11

2 - الجزائر الثائرة ص 12

الإبراهيمي: " لازم إمام النهضة عبد الحميد بن باديس فتأثر بمنازعه الخطابية ومواقفه في حرب الضلال، وسقيت ملكته بغيث ذلك البيان فاصبح فارس منابر، وحضر اجتماعات جمعية العلماء العامة والخاصة فاكتسب منها الصراحة في الرأي والجرأة في النقد، والاحترام للمبادئ لا للأشخاص، ثم لابس السياسيين وغشي مجتمعاتهم فرأى من زيغ العقيدة وزيف الوطنية واختلال الأخلاق ما جعله يثور عليهم "[1].

علاقته بطلبة العلم ولين الجانب لهم:

تميزت العلاقة بينه وبين طلبة العلم بأنها تقوم على الصحبة والمودة والتقدير وكان كل واحد من طلبة العلم يشعر بان الأستاذ الفضيل الورتلاني والد له يكن له الخير ويريد له النفع، ويعمل لتكوينه فكريا وروحيا ووطنيا، ومن ثم فقد كان الطلبة لا يشعرون معه بسيطرة ولا سطوة أو رهبة، وإنما يشعرون معه بما يشعر به الأبناء مع والدهم مما جعل الفترة التي قضوها معه خصيبة غنية المردود فيذكروها بالرضا والتقدير ولقد دفع الأستاذ الفضيل بالطلبة إلى العمل الجاد في مثابرة وصبر وعمق في نفوسهم حب الله والوطن وهيأ لهم الجو الذي يسمح لهم بالتفكير الحر والحوار البناء وكان يهيب بهم أن يقرأوا التاريخ ويستنطقوه عن الأمم والشعوب ليعرفوا قيمتهم وقيمة أمتهم في هذا الوجود ويعرفوا أنها محقة حينما تطلب الحياة الكريمة وتتعشق الحرية وتستهين بالموت في سبيلها وكان يلفت أنظارهم إلى أمجاد الأمة الإسلامية ويستحثهم على ترسم خطاهم والتحلي بأخلاقهم والاعتزاز بهم وكان يحبب إليهم اللغة الوطنية لغة القرآن الكريم ويحرضهم على التحدث بها ويترع بهم إلى النطق بها سليمة صحيحة ويؤكد لهم أن من يتحدث بغير لغته من غير ضرورة فهو في خليقته وعقيدته ونمط تفكيره لا يختلف عن أهل تلك اللغة، وهو محكوم عليه بالتبعية المدنية والعبودية الأدبية والوجود "**الملفق** " دون أن ينسى أن يحثهم في الوقت نفسه على تعلم ما أمكن من اللغات الأجنبية فإن المرء يتعدد بتعدد اللغات التي يجيدها شريطة أن تكون لغته الوطنية (العلامة المميزة) لوجوده والمظهر الصادق لاستقلاله ووطنه"[2].

---

1 - الجزائر الثائرة ص 12

2 - الجزائر الثائرة ص 14

فصاحته وبلاغته :

كان الأستاذ الفضيل رحمه الله قويا عقلا وروحا ولسانا وقلما وقد كانت هذه القوة تتمثل في حجته وصحيح دليله وعمق تفكيره وبعد نظره حيث كان يصقل روحه بالقرآن ويمحصها بالارتياض والصيام فكان بارز الشخصية قوي الرجولة جريئا في كل رأي يراه وفي كل عمل يتولاه مجتهدا في الفهم يحاول اكتشاف الآفاق البعيدة والنظر الثاقب والإدراك النافذ، فلأجل ذلك كانت الخطابة من أقوى وسائله في الإقناع ومن أهم أدواته في نضاله السياسي والثقافي والاجتماعي حيث كان في طليعة الخطباء المفوهين فكانت له مميزات الخطيب ومواهبه من شخصية قوية وذهنية خصبة وعقلية قوية وبديهة حاضرة ولفظ مختار وقدرة وارتجال لا تبارى، فكان إذا نهض يخطب في النوادي والمحافل نهضت معه القلوب وثارت معه الخواطر وأنشدت إليه المشاعر والأحاسيس طالما هو يتكلم وكانت قدرته على الخطابة واللغة الأمازيغية لا تقل عن قدرته بالعربية وقد قيل إنه ألقى خطابا ذات يوم في حشود من أبناء الجزائر بفرنسا سحر القلوب وخلب الألباب ولما نزل من المنصة ارتفعت أصوات من القاعة باللغة الأمازيغية تبدي الأسف من غموض الخطاب، فصعد إلى المنصة مرة أخرى فألقى خطابا بالأمازيغية اهتزت له القاعة، وهكذا كانت الخطابة أحد العناصر الأولية البارزة التي نبغ بها الشيخ الفضيل بفرنسا وبلغ بها مكان الزعامة في الشرق العربي وحقق بها نجاحا باهرا في مختلف الأوساط"[1].

شهادة عظيم لعظيم:

يقول فيه الشيخ الإبراهيمي :" والأستاذ الورتلاني ابن بار من أبناء جمعية العلماء وغصن من دوحتها الفينانة فتح عينيه على شعاعها وسار في الحياة من أول خطوة على هداها وقضى عنفوان شبابه في أحضانها، وتخرج في العلم والعمل على قادتها وبزَّ الجياد القُرَّح[2] في ميدانها ورمى الغايات البعيدة

1- الجزائر الثائرة ص20

2- القرح: يقال فرس قارح: انتهت أسنانه. مختار الصحاح ص336

بتسديدها، وراض عقله على التفكير الصائب، ولسانه على الحديث الصادق في الإصلاح الديني الذي هو أساس مبادئها، فجذبه استعداده القوي منه إلى العمل في ميدان الإصلاح الاجتماعي، وجرّته غيرته المحتدمة على وطنه إلى العمل للإصلاح السياسي، وهذه أنواع من الإصلاح متشابكة الفروع، تفصل بينها فواصل اعتبارية دقيقة، ولكن الأجرياء [1] المقدمين يروها متلازمة متوقفا بعضها على بعض فلا يتم جزء منها إلا بتمام جميعها ومن هؤلاء ولدنا الفضيل " [2].

د/ بلقاسم شتوان

1 - الأجرياء : جمع جري وهو الوكيل. مختار الصحاح ص 74.

2 - عيون البصائر ج 02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ص 688.

الشيخ الفضيل الورتلاني وقد أشير إليه بسهم وبجانبه الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. والرئيس المصري جمال عبد الناصر والسيد أحمد بوشمال أمين المال لجمعية العلماء أخذت الصورة بالقاهرة سنة (1952)

صورة تذكارية بالقاهرة سنة 1951

الفضيل الورتلاني الداعية المجاهد

الأستاذ البشير قلاتي

جامعة الأمير عبد القادر

تمهيد:

النـــاس صـــنفان:صنف يعيش لنفسه، غير عابئ بما عداها، همه تبليغها مـــرادها وإشباع مآربها من حطام الحياة الدنيا،عيشه كالعدم، غير معبوء به ،لا هو في عير ولا في نفير من شؤون أمته،..تراه إمّعه، إن إحسانا وإن إساءة،..لا يشـــغله شيء إلا ما يتعلق بدائرة ما يتعلق به ،وهذا الصنف في حكم الأموات وان عُدّمن الأحياء من قبيل المجاز كما يقول أهل اللغة.

أمـــا الصنف الثاني فيعيش لدينه وأمته ورسالته، وهو الداعية الحق الذي نـــذر نفسه لخدمة مبدئه، لا يعبأ بما يصيبه في سبيل ذلك من تعب أو نصب أو مخمصـــة، وهـــذا الصـــنف هو الذي يحقق معنى الحياة في نفسه، وفي مجتمعه، ويســـاهم في بـــناء حركـــية المجتمع وتوجيه مساره الصحيح في سكة التاريخ الطويلة....

ومـــن هـــؤلاء الأفذاذ الذين سطّروا أسماءهم بأحرف من نور، الأستاذ الداعية المجاهد الفضيل الورتلاني(1900/1959م)، الرجل الذي ما عاش لنفسه بل عاش للإسلام وللجزائر،،،،

نحـــاول من خلال هذه الوقفة أن نستقصي شيئا من حياته ومن دروب نضـــاله وجهـــاده الكبير، ونتعرف على بعض ملامح دعوته في خدمة الإسلام والجزائر...

نشاطه الدعوي:

انبرى الداعية في القيام بتلك المسؤولية الدينية في تبليغ رسالة التوعية الدينية والوطنية ،وقد ساعده في ذلك خصلتان في الرجل:

-قدرة لاتفتر على النشاط والحركة، وعمل متواصل لا ينقطع، وهذا ما يغذيه عند الفضيل الإيمان العميق برسالته، والحماسة المتدفقة لخدمة دينه ووطنه.

قدرة على البيان والخطابة والإقناع، وليخفى ما لهذه الميزة من دور في نجاح الداعية باعتبار أن الأسلوب الدعوي البليغ من أهم شروط التبليغ الناجح، وهو ماكان للفضيل فيه القدح المعلّى، ومن ذلك ما يرويه عنه الأستاذ(محمد الصالح الصديق)، فقد ألقى خطابا يوما في حشد من المغتربين الجزائريين حول الدين والوطنية، ألهب فيهم الحماس الديني ، وخلب به الألباب ، ولما نزل من المنصة، تعالت بعض الأصوات باللهجة الأمازيغية تبدي أسفها من عدم فهمها محتوى الخطاب، فصعد المنصة ثانية وألقى خطابا بتلك اللهجة اهتزت له القاعة.[1]

وبذلك تمكن في ظرف قصير نسبيا في إنشاء أكثر من ثلاثين ناديا ومدرسة لتعليم أبناء المسلمين وتحصينهم من مظاهر المسخ الثقافي والخلقي...ولم تكن عين الاستدمار غافلة عن خطورة مثل هذه النشاطات على أهدافها، فعمدت إلى تعقب حركاته، ومحاصرته، فاضطره ذلك إلى مغادرة فرنسا سرا (بمساعدة صديقه العلامة شكيب ارسلان)فرحل إلى مصر عام 1938م بعد أن بذر هناك(فرنسا) بذورا طيبة،....وكانت القاهرة في ذلك الوقت ملتقى الثقافات ومجمع العلوم ومجمع العلماء والمفكرين ، فوجد فيها الفضيل الساحة التي يفجر فيها طاقاته الجهادية لخدمة دينه ووطنه، وقد وجد الفرصة السانحة لمواصلة دراسته بالأزهر الشريف، ولجدّه واجتهاده حصل العالمية من كلية أصول الدين والشريعة الإسلامية .

ولم يكن الطلب ليشغل الفضيل عن خدمة وطنه وشعبه فأسّس عام 1942(الجمعية العليا للدفاع عن الجزائر) ،كما أسس عام 1944(جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا)ثم أسّس (مكتب جمعية العلماء المسلمين)في القاهرة عام 1948م

والــذي استقبل فيه الشيخ(البشير الإبراهيمي) عام 1952 م...وكان قد تعرف عــلى شخصــية الإمــام (حسن البنا) وأعجب بأفكاره في الإصلاح والتغيير، وعــرف أهمــا ينهلان من مشكاة واحدة، فأصبح عضوا في حركة الإخوان المســلمين لاقتناعه بضرورة تظافر الجهود في هيئات ومؤسسات لخدمة الدعوة، خاصــة مــع تلــك التحديات الكبرى التي تتهدد الإسلام في جذوره تحاول استئصاله.

ولم تكن خصائص الفضيل وما تميز به من قوة إيمان بالمبدأ وحماس فياض للعمل، وذكاء وقاد وهمة لاتفتر إضافة إلى تلك المقدرة الخطابية التي تميّز بها، لتخفى على البنا، فانتدبه للعمل الإصلاحي في اليمن مع بعض إخوانه، مثلما فعل من قبله أستاذه في الجزائر الإمام ابن باديس[2] .ولما كان الفضيل قد نذر نفسه لخدمة قضايا الإسلام والمسلمين أينما حل وارتحل، فإنه لم يتردد في تحمل المسؤولية الخطيرة، خاصة في تلك الظروف العصيبة :فتن داخلية ومؤامرات خارجية ....والمعروف أن العمل الدعوي في ظل الفتنة هو أخطر ما يواجهه الداعية ....وفعلا فقد وجد الفضيل الظروف في اليمن على أسوا ما يكون:فوضى عارمة، وجهل مطبق طال سرات القوم[3] بله عوامهم، ولكن ذلك لم يمنع الفضيل من تأدية واجبه على أحسن وجه، لكن الظروف دفعته إلى المشاركة في الانقلاب على نظام الإمام(يحيى حميد الله) الفاسد عام 1948م لكن المحاولة فشلت فخرج من اليمن سرا عن طريق البحر.

وفي عام 1950م اتســع نشاطــه الدعوي فسافــر إلى كــل مــن ســوريا، تركيا، اليونان، إيطاليا، سويسرا...وغيرها ..بعزيمة لا تفتر غير عابئة بالتعــب الجســمي، وأخطــار ومصاعب الطريق، لأن الرجل صاحب رسالة ووارث للنــبوة ..وقمــين بمن كان هذا شأنه أن لا ينحني أمام الصعاب مهما كانت ومهما اشتدّت وطأها ....

---

2 _عمر بن قينة،.أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والادب ،دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق2000.

3 –سرات القوم هم الرؤساء وأصحاب الشأن عندهم ....

ومـــا كـــادت تندلع الثورة التحريرية حتى انخرط في وفد جبهة التحرير الوطـــني في القاهرة لخدمة قضية وطنه بالدعم المادي والمعنوي، عن طريق جمع التبرعات، والحث على دعم الثورة واستنهاض الهمم بالخطب وبما كـــان يكتبه مـــن مقـــالات حماسية تتميز بصدق العاطفة وبلاغة الأسلوب،كما نقرؤها في (الجزائر الثائرة)، وهو كتاب جُمعت فيه هذه المقالات ....

ونظـــرا لـــلمجهودات الجـــبارة التي كان يبذلها الرجل، وكثرة تنقلاته وأســـفاره في خدمـــــة الدعـــوة، أنهكـــه المـــرض، فانتقـــل للتداوي بأحد مستشفيات تركيا، لكن إرادة الرحمن شاءت أن تنتقل الروح إلى بارئها راضية مرضـــية، وكان ذلك في 12مارس 1959م دون أن يشهد استقلال وطنه، رحمه الله تعالى في الخالدين.

الفضيل ،خصائص الداعية:

نحاول أن نرصد باختصار أهم ما تميز به الفضيل في حركته الدعوية التي نذر نفسه لها وهي:

التفاؤل وقوة العزيمة:

رغم أن ليل العالم الإسلامي بصفة عامة وليل الجزائر بصفة خاصة كان كـــالح الســـواد، وأن الأخطار كانت تحوط الأمة من كل جانب، وان مرحلة الاستضـــعاف طالت واستطالت، إلا أن الفضيل كان متفائلا بالمستقبل، وبأن النصر قادم، وأن المستقبل لهذا الدين، يذكر عنه صديقه(بعزيز بن عمر):"عرفت الأخ الورتـــلاني، أيـــام الطلـــب بقسنطينة وهو شاب يتقد ذكاء ويفيض نبلا وإحساســـا، يبتســـم للحـــياة، فلا نراه إلا متفائلا بالمستقبل، يتطلع إلى الآفاق البعيدة، فتبدوا أمامه العقبات الكبيرة، ولكن ليس بالذي ترهبه العقبات فيجبن عن اقتحامها، بل أن له من عزمه ما يذيب كل عقبة ومن نفس وثّابة ما يتغلب به على كل ما تقيمه الحياة المتجهمة في طريق العاملين المخلصين"[4] . ولا شك أن الـــتفاؤل هـــو شـــرط العمل الناجح الفعّال الذي يضمن للدعوة التمكن والاستمرار، لان اليأس من شأنه في جميع الأحوال أن يفتر العزيمة ويتعب الجسد

4 - المصادر ،عدد8،سنة1 ،سلسلة2،26 سبتمبر1947م،عن الجزائر الثائرة،ص11

ويدفـع للاستسلام بسبب الهزيمة الداخلية التي تصيب اليائس ، فلا عجب أن اعتبره الله تعالى قرين الكفر ((**إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**))(يوسف/87). أما التفاؤل فهو ينبوع الحركة والحياة.وواجب الداعية أن يكون متفائلا مهما ادلهمّت الخطوب، وأن يعمل على زرع التفاؤل في مُخاطبيه...

سعة العلم:

تعتبر محدودية المعرفة وضآلتها خاصة في الجانب الشرعي، من أهم عوائق الدعوة، لأنها تؤدي إلى نتائج عكسية بالنسبة للداعية فربما حكم فزلّ، أوقضى فظلّ وأظلّ، وذلك ما يؤدي إلى تنفير المخاطبين وعدم اقتناعهم بفحوى الخطاب، وهذاماجعل الفضيل رحمه الله يسارع إلى مواصلة دراسته الشرعية في الأزهر الشريف، ويحصل منه على العالمية، فتمكن من ناصية المعرفة بما تميز به من ألمعية وتوقد ذهن، وهو ما أهله لأن يخلف، في بعض الأحيان (البنا) في تقديم حديث الثلاثاء...

قوة النشاط والحركة:

الدارس لسيرة الرجل يتعجب لكثرة أسفاره ورحلاته التي جاب بها أقطار الدنيا ، شرقا وغربا، ولم يكن ذلك رغبة منه في السياحة والترويح عن النفس، كما يفعل الكثيرون غيره ممن يبتغون عرض الحياة الدنيا، بل كان دافعه لذلك تبليغ الدعوة وخدمة قضايا أمته ووطنه، ومما ذكرنا نلمس ذلك الجهد الكبير الذي بذله لتحقيق هذا الهدف، سواء في فرنسا التي أنشأ فيها ما يربو على 30 ناديا في وقت وجيز ، أو في مصر على ما ذكرناه، وكما يقول المتنبي:

وإذا كانت النفوس عظاما ** تعبت في مرادها الأجسام**

وهذا ما أدى به إلى تمكّن المرض منه، ووفاته فيما بعد،،،ولا جرم فالداعية ليس فيلسوفا يوطوبيا، يخاطب العقول من برجه العاجي، ويقدم للناس النظريات المعرفية، دون أن يحتك بهم ويمتزج بمعاناهم، ويتذوّق أحوال معايشهم، بل إن حياة الداعية حركة دؤوب وجهد مستمر لخدمة الناس، بتوعيتهم وتثقيفهم ، ولم تكن الدعوة في أي وقت مجرّد خطب منبرية ومواعظ تُقدم في المناسبات فقط، وهو ما كان الفضيل رحمه الله يفقهه تماما...

ولهذا كان رحمه الله شديد النكير على أولئك الذين يجأرون بحب فرنسا معتقدين أنها مثال الحضارة والتقدم، والجمال والكمال، متناسين وما ينبغي لهم ماقامت به من جرائم يندى لها جبين الإنسانية، وختم مقالا لـــه في الموضوع بنداء له مغزى عميق:"يا أصدقاء فرنسا الكرام، إنكم في عصر المعرفة والمنطق، فالرجاء أن تحرصوا على معرفة الحقائق في عظائم الاموروعلى تحكيم المنطق وحده دون العواطف والشهوات".. [7] وقد كان أسلوبه في بيان جرائم الاستدمار الفرنسي تستند إلى شهادات الفرنسيين أنفسهم من باب "وشهد شاهد من أهلها"،، وكان لذلك وقعه في النفوس واقناعه للعقول. كما يظهر من خلال الرسالة التي وجهها إلى رئيس حكومة فرنسا (جي موليه)[8]أسلوب الداعية الراشد، المعتمد على عبارات لينة ملطّفة لكسب ثقة المُخاطب، واستنفار قواد العقلية والعاطفية لتقبل الرسالة، بعد تهيئة أرضية ملائمة للاقناع، وهو أسلوب الدعوة التي أمر بها الله تعالى نبيه موسى عليه السلام حين أرسله إلى فرعون((**إذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولا ليّنا لعلّه يتذكّر أو يخشى**))(طه/43،43) .استمع إليه وهو يقول في رسالته:"...وعليه فإني كجزائري حر، كرّس حياته لخدمة هذه الامة المظلومة، وقضى زهرة شبابه في بناء نهضتها وكمغربي عارف بما في المغرب العربي كله، ومؤمن بوجوب وحدته المقدّسة، ثم إني كإنسان مؤمن بالمثل العليا ومحب لخير الإنسانية جميعا والتي منها الشعب الفرنسي العريق[لاحظ]، أتقدم من أجل ذلك كله إلى دولتكم بهذا الكتاب المفتوح، راجيا أن يصادف ما فيه من حق ثقيل كل قبول واهتمام عندكم؛ لأنكم إنما دعيتم إلى هذا المنصب خصيصا لاجل إحقاق الحق[لاحظ]، مهما كان ثقيلا على بعض النفوس المريضة، مرضا مزمنا، ولانه الطريق الوحيد الذي يؤدي إلى إسعاد امتنا وأمتكم جميعا.(لاحظ)..."[9]ثم عدّد له مطالب الشعب الجزائري.

---

7 -نفسه،ص111

8 -نشرته جريدة بيروت المكساء يوم 27/26فيفري 1956،والمنار الدمشقية،عن خمسين،ص162

9 - م س،ص163،162

وبعد اندلاع الثورة نراه يوجه خطابه إلى الشعب الجزائري بأسلوب دعوي حصيف وبكلمات حارة، لا تدع عذرا لمعتذر، ولا حجة لمتكفيء....استهله بالنداء أولا:"أيها المسلمون الجزائريون"، ثم يذكرهم ببشاعة أعمال الاستدماروفضائعه،، ثم"أيها الإخوان الجزائريون"ويذكر لهم كل ما تم بذله من جهود سلمية في سبيل نيل استقلالهم وحفظ كرامتهم دون جدوى، ثم"أيها الاخوة الجزائريون الأبطال"ويحثهم على الجهاد المسلح الذي ما بقي لهم سبيل سواه، مذكرا إياهم أنه السبيل الذي ماتركه قوم إلا ذلّوا...، ثم "أيها الاخوة المسلمين"ويحذرهم من التراجع أو الانخذال رغم صعوبة الطريق وخطورته، ويحثهم على بذل المزيد من التضحيات في سبيل تحقيق النصر الكامل....

هذا غيض من فيض السيرة الدعوية لهذا الرجل العظيم الذي جاهد في الله حق جهاده ، لأنه ما عاش لنفسه وإنما عاش للإسلام وللجزائر، وأقل ما نقدمه وقفة تأمل لمساره الجهادي، علّنا نستفيد منه في رسم الطريق لنهضة أمتنا ولخير شعبنا عبر منهج دعوي راشد رشيد في ظل تحديات جديدة.....

أ/ البشير قلاتي

الصورة تمثل الأستاذ الفضيل الورتلاني و بجانبه سماحة الشيخ محمد بشير الإبراهيمي والشيخ العربي التبسي نائب رئيس جمعية العام والمفتش العام السيد إبراهيم مزهودي الصورة أخذت بالقاهرة (سنة 1952).

صورة تذكارية لإعادة رفاة الشيخ الفضيل الورتلاني من انقرة / تركيا 13 مارس 1987

العلامة المجاهد والثائر المجالد الشيخ الفضيل الورتلاني

الأستاذ/ عثمان أمقران
-كاتب وباحث ومحاضر –
قسنطينة

إننا بحضرة رجل جمع الله له كل خصال الربانية والإنسانية، فإذا كانت الربانية تعني علاقة زاكية برب العالمين تنشأ عنها العزة بالله وبرسوله وبالمؤمنين. فقد ضرب الشيخ الفضيل منها بكل السهوم.

ولا يكاد يختلف اثنان من الذين عرفوه عن كثب وخبروه عن قرب على كونه من الذين أخلصوا دينهم لله وتوجهوا بجهادهم المستبسل إليه وحده لإعزاز كلمته وجمع أمة الإسلام على التوحيد وهم اليوم قل والحق يقال، وكان همه المحوري في كل مكان هو وطنه – الجزائر – الذي ظل يردد بخصوصه في كل ناد وباد وأينما حل وارتحل هذا الشعار الحي : " إن الجزائر في المحافل كلها بلد الجهاد لعزة الأوطان".

وإذا كانت الإنسانية تعني علاقة زاكية ببني الإنسان بصرف النظر عن أجناسهم وأعراقهم ولغاتهم، ينشأ عنها الإحساس بوحدة المصدر واتحاد المصير والاشتراك في الكرامة والحرية والأخوة الإنسانية والمساواة في الحقوق والواجبات، فقد حمل الشيخ الفضيل لواءها خفاقا في كل رحي من أرجاء المعمورة وطئته قدماه، ويحفظ له التاريخ أنه كان جوابا طوافا في المشارق والمغارب حتى بلغ إلى أقاصي الأصقاع يعرف بقضية وطنه المسلوب الكرامـــة

لأنه مسلوب الحرية، وبما اندلع فيه من ثورات منذ احتلال الفرنسيس له عام 1830، لم تخب لها جذوة حتى فجر أحرارها الأشاوس آخرها، وكانت أضراها وأحماها في الخمسينات من القرن المنصرم لتطهير أرضه من أرجاس وأنجاس وأدناس قوة استكبارية غاشمة جاءت لتقول لشعبه : " اعل ياصليب على الهلال "فرد عليها ثواره المغاوير بلسان مبين : " بل الهلال أعز وأعلى ".

ولم يسجل التاريخ هذا العالم غيره هذه المنقبة الفذة التي رفعته عاليا في سماء العلماء المجاهدين الذين جاهدوا في الله حق جهاده لتتحرر الجزائر العربية المسلمة أولا وليسري منها — ثانيا — نسغ الحرية ولهبها المقدس إلى مشرق العالم ومغربه وجنوبه، وهي منقبة لم تعرف من قبله إلا في الشيخ جمال الدين الأفغاني —رحمه الله — وكانت تجد ما صدقها — على حد تعبير فلاسفتنا المسلمين — في إيمانه المكين بأن الإنسان خلق لعبادة ربه، لذا، فلا ينبغي أن يستعبده أحد — كائنا من كان — ولا يحل استباحة دمه وعرضه وماله إلا بحق الله خالقه.

وهو — إلى ما ذكرنا — حسنة من حسنات الجهاد الدعوي الإصلاحي المبارك لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وثمرة يانعة من ثمرات مجاهديهم التوعوية والتعبوية للشعب الجزائري، إعدادا له لتبوئ مقعد التمكين والسيادة على أرضه الطاهرة.

يقول عنه العلامة الفهامة محمد البشير الإبراهيمي : " لقد نشأ الشباب في أحضان جمعية العلماء، ففتح عينيه على الميادين العامرة بأبطالها وأذنيه على الأصوات المجلجلة بالعلم والإصلاح من دروس عامرة بحقائق الترتيل والحكم النبوية ومحاضرات بليغة في التاريخ الإسلامي والأدب العربي تفيض بالبيان الساحر وتتدفق بالبلاغة الرائعة.

فنشأ مؤمنا متين العقيدة، حر الفكر عميقه، صريحا لاذع الصراحة، جريئ اللسان على كلمة الحق، شجاع الرأي إذا جمجمت الآراء وتخافتت، غيورا على وطنه غيرته على الجزائر رافقها في جميع مراحلها وشارك — على فتوته — الشيوخ المحنكين في بنائها . هـ.

وكان للشيخ الرئيس، عبد الحميد بن باديس – أثره البين في الشيخ الفضيل، تبدى – أشد ما تبدى- في حربه الشعواء لفرق الزيغ والضلال، الظهيرة للاستكبار الفرنسي، موظفا بيانه العربي إلهامي وكترعه الخطابي الشافي وقوة حجته في جدال الخصم وبزه، مما جعل الشيخ الإمام يقول له لكما رأى منه مخيلة صدق : " لمثل هذا كنت أحسيك الحسا ".

ولكم كان الشيخ الفضيل وفيا لنهج شيخه الجليل – والوفاء توأم الصدق – وكم كان صدقه عظيما مع الله ومع الوطن ومع أمة الإسلام قاطبة، وهو يواجه الزعازع ويخوضها في غيرما ضعضعة، ثابت الجأش، راسخا رسوخ الأطواد الشامخة.فلقد كان هدف فرنسا وأعوانها وأنصارها وأشياعها أن ذهب ونزل، ودبرت له مكايد في كثير من بلاد الإسلام بسبب نشاطه التعبوي الفعال لشرائح أمة الإسلام في بلادها المختلفة من المحيط إلى المحيط وقدرته الخارقة على النفاذ إلى القلوب والتدسس إلى العقول يفعل فيها ببيانه الساحر وبرهانه القاهر فعل الإكسير.

وإن ننس فلا ننسى البيان التاريخي الفذ الذي حرره بمعية الشيخ الإبراهيمي غداة اندلاع ثورة التحرير الكبرى وفيه يهيبان بشعب الجزائر أن يشد أزر وعضد ثواره الميامين لدك دولة الاحتلال وتقويض صروحها التي شيدتها على أكوام الجماجم وأنهار الدماء.

وقد حرر ذلك البيان يوم 15 نوفمبر 1954 وأذيع على أمواج صوت العرب من القاهرة،وبه تبين لأهل الحجى من الجزائريين والعرب أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أول من سارع إلى تأييد وتعضيد ثورة الأحرار لتحرير الجزائر وأن موقفها منها لم يكن أبدا موقف المعارض أو المتحفظ، وأن القضية الوطنية كانت في حس الشيخ الفضيل كما في حس الشيخ الإبراهيمي نقطة بؤرة اهتماماتهما ومحور تحركاتهما عربيا وإسلاميا وعالميا.

ومما جاء في ذلك البيان هذه الفقرات : ((أيها الإخوان الجزائريون اذكروا غدر الاستعمار ومماطلته. كان العالم يسمع ببلايا هذا الاستعمار لديياركم فيعجب كيف لم تثوروا وكان يسمع أنينكم وتوجعكم منه فيعجب كيـــف تؤثـــرون هذا الموت البطيء على الموت العاجل المريح ... لقد كانت

فرنسا تسوق شبابكم إلى المجازر البشرية في الحروب الاستعمارية فتموت عشرات الألوف منكم في غير شرف ولا محمدة بل وفي سبيل فرنسا وتوسيع ممالكها وحماية ديارها، ولو أن تلك العشرات من أبنائنا ماتوا في سبيل تحرير الجزائر لماتوا شهداء وكنتم بهم سعداء)).

إنني في ضوء هذه الفقرة من ذلك البيان لمضطر أن أقرر للتاريخ أن علماء الجزائر- إبان محنة الاحتلال- تماما كمناضلي الحركة الوطنية- لم ينوا يعملون لتحرير الجزائر والشعب الجزائري من القهر الفكري والثقافي والتاريخي والعقيدي والاجتماعي والاقتصادي، الذي كانت فرنسا تمارسه بشراسة تجل عن النظير. وكانوا يباشرون كل ذلك بكل الوسائل السلمية العلمية. فلما تبين لهم أنها لم تعد تجدي نفعا، خاصة بعد أحداث الثامن من أيار — ماي 1945 الدامية، نادوا صراحة بأن الحديد لن يفله إلا الحديد.

ورفع الشيخ الفضيل بهذه القناعة عقيرته في غير ناد من نوادي دعوته الوطنية الإسلامية في مدن ماكان يسمى زمانئذ بال METROPOLE حيث كان-رحمه الله- يرد على الضالين من أبناء شعبه ما أضاعه الوسط الفرنسي من دين ولغة، ويزرع في قلوب الآباء والأبناء معا حب الدين والجنس واللغة والوطن ويعيد إلى الجزائر — بذلك كله- قلوبا تنكرت لها وأفئدة هوت إلى غيرها وغراسا أظمأه الاستعمار في مغارسه فألتمس الري والنماء في غيرها.

وكان الفضيل الجليل يتتبعهم في مطارح اغترابهم حتى أقنعهم بواجب الانتظام في منظومة المقاومة لعوامل الامساخ الحضاري والتصدي لأسباب السلخ الثقافي بروح الإسلام ونهجه الفذ في إحياء الشعور بالذات وتغذيته وتنميته على نحو فذ.

وبدا للناس حينئذ أن جمعية العلماء عانقت خط حزب الشعب الراديكالي الرافض لكل الحلول المنقوصة مع دولة الاحتلال، والمطالبة بالاستقلال الكلي عنها — وطنا وشعبا — ولكن الأمر في الواقع لم يكن كذلك. إنما كان هناك إحساس شعبي عام بعد مجازر الثامن مايو 1945 أن السيل قد بلغ الزبى وأنه لم يعد في القوس من منزع، وهو الإحساس الذي آحتد وأشتد

لدى شرائح الأمة كافة ووظفه حزب الشعب توظيفا جيدا فبلغ به إلى ما كان يؤمله من إعلان الثورة المسلحة على المحتل الغاصب. ودعك مما نابه في دخيلتـــه من انقسامات أفضت إلى انبثاق جبهة التحرير عنه مما لا يسع هذا الحيز بسط القول فيه.

لقد كان الشيخ الفضيل علامة مجاهدا وثائرا مجالدا صائلا في حومة الذات عن قضية حرية الجزائر واستقلالها ذبا مستميتا ومستبسلا، والنفاح البطولي الرجالي عن مقوماتها الذاتية وشخصيتها التاريخية المتمثلة في اللسان العربي وفي الإسلام وفي عراقة انتمائها لمازيغ وأبنائه الأحرار الذين عرفوا من ألوف السنين بإبائهم وشممهم وصدهم لغزوات الغازين الفرنجة .

ولما جاء العرب الفاتحون أفسحوا لهم الصدر والأرض بعد أن تأكدوا من أنهم حملة رسالة سماوية سمحة لا فضل فيها لعربي على عجمي إلا بتقوى الله وأنهم لم يجيئوا غزاة متسلطين فذاب العنصران بعضهما في بعض وصنع الإسلام منهما أمة حضارة أشعت بأنوارها على أوربا التي كانت تغط في حنادس الجهل والخرافة والشعوذة وأيقظتها من سباتها وبعثت في أوصالها حركة الحياة بفضل سيل بحوث العلم التجريبي من خلال جامعات قرطبة وإشبلية وصقلية والبندقية.

وهذا هو الذي نذر الشيخ الفضيل حياته كلها له ووقف نشاطه كله — الفردي والجماعي — السري والعلني — الخاص والعام- عليه، كتابة وخطابة و لم يكن — رضي الله عنه وأرضاه- يفصل في كل ما يتناوله من تلك القضايا بين الدين واللغة والسياسة والوطنية فاقرأ له معي هذه الكلمات النيرات عن محنة اللغة العربية في الجزائر (إن اللغة العربية مظهر مقدس من مظاهر كرامة الأمة التي تحترم نفسها وعنوان من عناوين مجدها ووجودها، ولا يجوز أن يقل اعتبار اللغة في مجال الكرامة عن اعتبار العلم والبيرق أو تعبير النشيد الوطني الذي يعاقب القانون والعرف من لا يقوم له إجلالا عند سماعه...).

و اقرأ له معي هذه المقالة النفيسة عن أمازيغ الجزائر والمغرب العربي وعما كان من شأنهم مع مقدم العرب إليهم بالإسلام (.. فلقد اعتنقوا الإسلام عن شوق وقناعة وأحبوه من أعماق قلوبهم وأخلصوا لتعاليمه أشد الإخلاص ثم أحبوا معه ومن أجله كل ما صحبه من مقومات، أحبوا أهله العرب حبا لم يكن

يخلو من الغلو حتى كان البربري يرى أن الإصهار إلى العربي والتقرب منه إنما هو شرف كبير له بل هو في نظره من العبادة بمحل ...).

ولما كان هذا الحيز لا يسع لمزيد من التفصيل في القول عن مواقفه ونهجه الفكري ومنهجه الإصلاحي ومهيعه الدعوي، فإنني سأختم هذه السطور السواطر بتلخيص قواعد جهاده الديني والوطني و نضاله الإسلامي الواسع في هذه الأفكار الأساسية التي استوحاها من مبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

01 – دعوة الإنسان الجزائري إلى أن ينضو عنه سربال الضعة والإخلاد إلى الأرض ليمتن صلته بالله فيغير ما بنفسه ليغير الله ما به.

02 – السير به في طريق الفهم الصحيح لرسالته في هذا الوجود وذلك بتعليمه التعليم المبني على حقائق عقيدته ورقائق أخلاق دينه وسيرة نبيه –صلى الله عليه وسلم– ومواقف رجال عقيدته الدينية السمحة وفتح عينه على مبتكرات عصره وأنوار علوم الكون مرتبطة بقاعدة (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)، سورة العلق ، 01.

03 – ربطه بعروبته وبأمته الإسلامية حتى يحس أنه قليل بنفسه كثير بإخوانه وأن مشروعه الحضاري الضخم لن يكتب له الديمومة بعد القيمومة إلا في إطار قوله تعالى (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ). سورة المؤمنون ، 52 .

04 – ربطه بالإنسانية الواسعة المدى التي أبوها آدم والأم حواء والإصاخة إلى رؤاها والتفهم لمطامحها والتعاون معها على ما يصلحها ويرقى بها في مدارج الأخلاق الفاضلة على اعتبار أن الإسلام جاء إليها ليعيدها إلى ربها وحده. فهي منه صدرت وإليه تعود.

05 – تظافر القوى الإسلامية كافة بالتنسيق مع قوى الخير المسيحية واليهودية لتحرير فلسطين والقدس وأكنافه من سيطرة عصابات بني صهيون ومظاهويها من قوى البغي والبطش العالمية. وليس لذلك من سبيل إلا بالجهاد المسلح وحده الذي تعبؤ في إطاره كل قوى المسلمين الاقتصادية والبشرية والسياسية والثقافية.

فسلام على الشيخ الفضيل يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث — إن شاء الله — مع النبيين والصادقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقا.

بقلم الأستاذ الكاتب والباحث والمحاضر /عثمان أمقران
رئيس مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
في ولاية أم البواقي

دراسات في آثار الورتلاني

رؤية الفضيل الورتلاني للدين و العرق في المغرب العربي

د/ إسماعيل سامعي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إذا كان من الممكن توظيف التاريخ من أجل تحقيق أغراض سياسية أو مكاسب اقتصادية، فإنه في الوقت نفسه من غير الممكن تحريف مساره لأن التاريخ لم يكن، ولن يكون في جملة المنخدعين.

ومن أخطر ما تعرض له تاريخنا المغربي عموما، والجزائري خصوصا محاولات التزييف المنظمة، والهادفة، وأول ما يصادفنا من هذا التزييف هو التسمية حيث عمل الاستعمار على تكريس تسمية " الشمال الإفريقي " لبلاد المغرب، وهي أول خطوة في إعادة الرومنة تحت مظلة الفرنسة، وذلك بقطع الصلة الجغرافية مع المشرق، والانتماء الحضاري لشعوبه. وهو الأمر الذي تنبه إليه الأحرار من هذه الأمة فحاربوه في كتاباتهم، ومؤلفاتهم بتأكيدهم على انتماء أمتنا الحضاري العربي الإسلامي مستعملين في ذلك المصطلحات التي حاول المستدمر إقصاءها أو طمسها كالإسلام، والعربية، والمغرب، وهو ما جعل العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس يقول :

شعب الجزائر مسلم * وإلى العروبة ينتسب**

والمستدمر الفرنسي راهن منذ فرض هيمنته على بلاد المغرب (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى) على قاعدة فرق تسد، وهي القاعدة التي كان قد ارتكز عليها الاستدمار الفرنسي بادعائه وجود عنصرين عرقيين متنافرين هما العرب، والبربر، فحاول إقامة المحاكم العرفية التي تعتمد الأعراف دون الشريعة

الإسلامية، بالنسبة لما يسميه البربر وإصدار القوانين التي تكرس ذلك منها قانون الظهير البربري[1] بالمغرب الأقصى، وافتعال الأزمة البربرية في الجزائر[2]، وكلما أحس

1- الظهير البربري : صدر الظهير البربري في المغرب الأقصى بتاريخ 16 ماي 1930، وكان قد صدر ظهيرا بربريا آخر سبقه إلى الظهور في 11 سبتمبر 1914 يقضي باحترام العرف البربري التحول إلى الجماعة التقليدية التي ينحصر دورها في تهيئة قرارات التحكيم إلى سلطة قضائية حقيقية، وبدأت السياسة البربرية باحتشام حتى أعلنت رسميا في 16 ماي 1930. وبموجب هذا الظهير سحبت صلاحيات المحكمة التشريعية (الملكية) العليا في استئناف جميع أحكام الباشوات، وتجرد إحالة سكان الجبال على السلطة القضائية،وقد اعتبر هذا الظهير قضاء على الإسلام في المغرب الأقصى في وقت تفاقم فيه التبشير لاسيما دعاية الفرانسيسكان، ونشر نسخ من حياة المسيح باللغة العربية،= = وانطلقت الدعاية المضادة من المساجد حيث ظل دعاء أيام الخطر "باللطيف " يذكر إثر كل صلاة وهو ينتهي بهذه الجملة " باللطيف أنقذنا من معاملة القدر السيئة، ولا تفصلنا عن إخواننا البربر" وتوسعت حركة الاحتجاج إلى طلاب المدارس. ومن نتائج الظهير البربري بروز الوعي الوطني المغربي، وقوى اللحمة بين المغرب الأقصى والعالم الإسلامي إذ جعل جميع المسلمين يقاسمون إخوانهم في المغرب محنتهم. ينظر : شارل أندري جوليان، افريقيا الشمالية تسير، ترجمة المنجي سليم، والطاهر المهيري،والصادق المقدم،وفتحي زهير، والحبيب الشطي. (تونس : الدار التونسية للنشر، و ش،و،ن،ت ، 1976/1496 ص : 169)

2 - كتب عبد الرحمن بن العقون في هذا الموضوع، وهو ممن عاشوا الأحداث وعايشوها أثبت هنا ما قاله ملخصا : " لقد عمل الاستعمار على إشاعة العنصرية والتفرقة بين أفراد الشعب الواحد من فرض الاحتلال على الجزائر فكثيرا ما ادعى الفرنسيون وكتب كتابهم أن قبائل زواوة بصفة خاصة من الجنس الروماني وأتوا بحجج وصفات خلقية بيولوجية يثبتون بها أن القبائل من عنصر أوروبي ... كما أسسوا مدارس لتعليم اللهجة البربرية، وكتبوها بحروف لاتينية ... وجعلوا نظاما خاصا بسكان وادي ميزاب يشبه الحكم الذاتي وكأنهم يمثلون جنسا غير الجنس الجزائري؟ وينقل عن الشيخ أبي يعلى الزواوي الذي نشر مقالات في ذلك في جريدة البصائر عدد 12 يوم 08 فيفري 1948 فيقول : ((وقد أسسوا هناك (في زواوة) مدرسة بربرية ودعوا إليها كاتب هذه المقالة (أبو يعلى) سنة 1912 فرفض القبول، وفي سنة 1921 قام الأمير خالد والشيخ ابن رحال وهما نائبان في المجلس المالي يطلبان جعل مكاتب ابتدائية عربية للعرب المسلمين فأجاب : ((الخواجة يرشي)) بكل حنق : ((إن الوطن بربري ليس بعربي فمن شاء أن يتعلم اللغة البربرية القبائلية فهي لديه وأمامه (البصائر 59 يوم 6 ديسمبر 1948).

وهكذا راح الفرنسيون يفرقون بين فئات الشعب الجزائري العربي المسلم منذ أربعة عشر قرنا فأثبتوا حتى في طلب السجلات الرسمية، وفي الإحصاءات السكانية كلمة بربري أو عربي ثم أضافوا إليها " فرنسي مسلم وشينا فشينا جعلوا من قبائل زواوة وحدهم " أمة بربرية متميزة " حتى يتأتى لهم فصلها عن جسم الشعب الجزائري المسلم وعن الأمة العربية " وربطها نهائيا بالأمة الفرنسية.

وراجت المكيدة على بعض ((خريجي الكنيسة النصرانية)) منهم رشيد علي يحي عبد المجيد الذي عمل بكل مجهوداته على التغرير ببعض مناضلي " حزب الشعب الجزائري " حيث تطورت عندهم إلى عقيدة وطنية، ثم تشكل منظمة داخل الحزب، وذلك أواخر سنة 1949 وسميت باسم ((حزب الشعب القبائلي p.p.k)) ، ولما كشف أمرهم طردوا من الحزب...، ولم يتبعهم من ثلاث عشرة قسمة من بلاد زواوة إلا قسمة بلدية عين الحمام – ميثلي سابقا – وشينا فشينا تراجع مناضلوها وعاد المفرقون للجماعة، وخذل أذناب الاستعمار، ويعلق ابن العقون على هذه الحادثة أن هذا الشخص الذي يعيش في فرنسا هو الذي أحيا قضية البربرية لسنة 1980، وبعد حرية الجزائر واسترجاع استقلالها، وقد صرح يقول : ((لا يوجد في الجزائر= = عرب إنما برابر لا يعرفون العربية، وآخرون يعرفونها)) ينظر: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986)، ج: 3،ص: 110 وما بعدها.

المستدمر بنهضة المغرب العربي.استنهض مثل هذه القواعد للتصدي لطموح الأمة في الحرية والانعتاق.

والشيخ الأستاذ الفضيل الورتلاني تناول هذه القضية، والثورة كانت مشتعلة نارها حيث عمل الاستعمار على ترويج دعايات حول وجود عنصرين مختلفين في المغرب العربي علها تسهم في إخماد شرارة الثورة التي اندلعت في كل أقطاره. أو على الأقل لتبقي بلاد المغرب منقسمة على نفسها ضعيفة محتاجة لفرنسا وتابعة لها. وفي ذلك تحقيق لمصالحها، وقد لجأ الورتلاني إلى حقائق التاريخ ليفند مزاعم المستدمرين منها :

أولا : أن سكان المغرب العربي البالغين ثلاثين مليونا يعتنقون الإسلام .

ثانيا : توجد فيهم مجموعة يهودية يصل تعدادها إلى مائة ألف لا يزالون يتمتعون بالجنسية المحلية شكلا، وهي إشارة إلى أن تجنيس يهود الجزائر بموجب أمر كريميو decret cremieux لسنة 1870 الذي أجبر يهود الجزائر على التجنس. ورغم ذلك بقي أكثرهم محافظا على انتمائه للجزائر مع أن اليهود لا يعيشون إلا لمصالحهم الاستغلالية .

ثالثا : أن سكان المغرب العربي جميعا مسلمون، وإنما يوجد قرابة خمسين ألف من الإباضية هم من خيرة المواطنين المغاربة نشاطا واستقامة، ولا يشعرون بأنهم أقلية، أو أنهم شيء أخر غير بقية المواطنين.

ويخلص إلى القول بأن باب الدين مسدودا، وأنه محكم الغلق في وجه التفريق الاستعماري [1]، ويطمئن الجميع أن لاقلق على وحدة المغرب العربي، ويعود الورتلاني ليقول أن المغرب العربي بملايينه الثلاثين كلهم عرب لا بربر فيه، بل ويذهب إلى تحديه لكل من يستطيع إثبات غير ذلك [2]، والزعم هذا فيه شيء من الفطنة والذكاء لتفنيد الادعاءات الاستعمارية التي ملأت الدنيا، وبعبارة أخرى إنها استجابة إيجابية لتحدي كبير وخطير. فتأكيده على وجود عرب بالمغرب العربي لا بربر يأتي في السيـــاق التاريخي، والتطـــور الحضاري،

---

1 - الورتلاني الفضيل: الجزائر الثائرة (الجزائر / عين مليلة : الجزائر الثائرة ، دار الهدى - 1992)، 62

2 - نفسه 63

والواقع الاجتماعي، وهذا الأخير ينطلق منه تحديه لأن السياق التاريخي، والتطور الحضاري أصبح حقيقة لا ريب فيها،[1] أما الواقع الاجتماعي الذي يبين بوضوح أن سكان هذه البلاد تعربوا جميعا بعد الهجرات العربية المتوالية على ديارهم، ولم يبق اليوم على أرض المغرب من يقول أنا بربري، أو يرضى أن يصفه أحد من الناس بذلك،[2] ولعله هنا ينطلق من ذاته حيث يريد القول إنه من منطقة يدعي الاستعمار و أذنباه أنها بربرية، ومازال سكانها يرطنون اللهجة البربرية غير أنه لا يشعر إلا أنه عربي مسلم، وهكذا نرى الفضيل الورتلاني في هذه المقالة عميق الفكر، وسياسي محنك، وابن واقعه يتجنب المهاترات الفكرية، والجدل العقيم الذي لا يزيد الموضوع إلا غموضا.

ويؤكد على وحدة المغرب العربي جغرافيا، وتاريخا، وحضاريا. فيركز على إبراز عناصر التقارب فيه، ويحصرها في الدين واللغة والتزاوج كما يأتي:

العنصر الأول : الإسلام الذي كان اسبق الثلاثة إلى التحكم في مصير البربر. والذي اعتنقه السكان، وأحبوه من أعماقهم، وأخلصوا لتعاليمه أشد الإخلاص[3] ولذلك لابد لفهم التركيبة الاجتماعية لسكان بلاد المغرب العربي من الانطلاق من هذا العنصر الفعال الذي أصبح الإسمنت الذي يحصن البناء.

العنصر الثاني : اللغة العربية المترجم الأساسي لتعاليم الإسلام فمن اعتنق الإسلام أحب العربية، وسكان المغرب العربي أحبوها إلى درجة الغلو، وحافظوا عليها، وأنتجوا فيها إنتاجا عظيما[4]، ولأن العربية نقلها العربي كما نقل الإسلام فقد أصبح عند سكان المغرب العربي رسول الله إليه، وأنه مجاهد في سبيل تبليغ رسالة الحق المقدسة كما يقول الورتلاني[5]، بالإضافة إلى مرابط يدفع الأعداء، ويذود لا على مستوى اللسان وإنما على مستوى الشعور واللاشعور.

---

1 - إشارة منه الأصل العربي للبربر لاسيما ما قاله ابن خلدون عبد الرحمن العبر، (بيروت: دار الكتاب اللبناني 1968 ج6،ص181

2 - الجزائر الثائرة 63.

3 - الورتلاني ، الجزائر الثائرة ، 63.

4- انتج سكان المغرب العديد من المؤلفات في علوم اللغة والنحو منها: ألفية يحي زين الدين ابن عبد النور الزواوي الجزائري، المتوفى سنة 628 هـ والمعروف بابن معط. ينظر: مقدمة شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لمحمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار النشر 1974/1394) ج 1 ص : 06.

5 - الجزائر الثائرة 63.

العنصر الثالث : التزاوج بين العرب وسكان بلاد المغرب العربي إذ ساعدت مبادئ الإسلام السمحة في تسهيل التزاوج والاختلاط ذلك أن تعاليم الإسلام لا تفرق بين بشر و آخر إلا بالتقوى قال تعالى : ((**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**))[1] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((**يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**))[2].

فشاع التزواج بين العرب والبربر، وابتدأ منذ الفتح الإسلامي، وظل يتسع نطاقه ونشأت أجيال بعد أجيال اختلط أصلها، ولم تعد تعرف سوى أنها عربية إسلامية مغربية ، وهو ما عبر عنه الشيخ عبد الحميد بن باديس :

من قال حاد عن أصله* أو قال مات فقد كذب**

ويبدو أن طبع الورتلاني الثوري الحاد، وخطورة التحدي من جراء الدعاية الاستدمارية وحبه الشديد لوطنه، ولغته، ودينه جعله يؤكد أن لا بربر في المغرب العربي اليوم [3] لاسيما وأن فرنسا حاولت خلق وتوظيف مسألة البربرية في تحقيق هيمنتها على بلاد المغرب العربي، وذلك من خلال إصدارها للظهير البربري في المغرب الأقصى، وبين الورتلاني أن هذا الظهيـــر، ومحاولات التفرقة محكوم عليهما بالفشل لسببين مهمين هما :

01 – وجود الأشراف ذوي النسب المحمدي مرابطين حيث يتمتعون بمنزلة ممتازة لاسيما في المغرب الأقصى[4]، وهو دليل قاطع على المحبة التي ربطت أهل المغرب بأهل المشرق في ظل دولة الإسلام وتعاليمه وحضارته.

02 – انتشار اللغة العربية الذي تم بسهولة لا نظير لها. حيث كان البربـــر هـــم الساعين إلى حفظها، والمسارعين إلى تعميمها لأنها في نظرهم لغة

---

1 - سورة الحجرات،13.

2- انفرد بإخراجه أحمد بن حنبل في مسنده في باقي مسند الاختصار تحت رقم 22391.

3 - الجزائر الثائرة، 64.

4 - نفسه 64.

السماء ولسان الخالق، ويشير الورتلاني إلى بعض المحطات التاريخية الهامة التي كانت عاملا حاسما في التمكين للغة القرآن لسان الله، اللغة العربيـــة كبني هلال لها الذين عربوا بلاد المغرب كله حتى قيل عنهم : " إن بني هلال معربين لا مخربين [1] حيث أنهم كانوا إذا ما ذكروا ذكر تخريبهم للدول والحواضر كالدولة الحمادية والزيرية،والقلعة العاصمة الأولى لبني حماد، لاسيما وأن شيخ المؤرخين المغاربة ابن خلدون كان أثبت لهم هذه الصفة حيث قال : " وإفريقية والمغرب لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها، وعادت بسائطه خرابا كلها "[2] .

ويخلص الورتلاني إلى بعض النتائج الهامة التي تبلور عمق ثقافته، وثاقب فكره، وتوقد ذكائه وهي :

أولا : أنه لا توجد أقلية أو أكثرية في بلاد المغرب يمكن أن تسمي نفسها بربرا.

ثانيا : لا يوجد أي فرد أو جماعة تقول عن نفسها مختاره إنها بربرية، وتطالب بوضع خاص لها ... بل أنك إذا قلت لمغربي أو جزائري أو تونسي. يا بربري لقاتلك بحماس لأن هذه التسمية يعدها إهانة له [3] والمعروف أن إطلاق اسم البربر على سكان بلاد المغرب كان من قبل الرومان لأنهم كانوا يعتبرون كل من خالفهم من الشعوب في اللغة والتحضر بربري، وتطور معناها لتصبح في عهد الاحتلال الفرنسي المتخلف والمنحط.

غير أنه يتدارك أمرا واقعا ومهما، وهو المتمثل في أن سكان أعالي الجبال مازالوا يرطنون بلهجة محلية خليط من اللغات القديمة:" الفينيقية- اللاتينية- البونقية المحلية واللغة العربية"، وكلما نزلنا من الجبال نحو السهول أخذت هذه اللهجة في الاختفاء أمام اللغة العربية اللغة الرسمية، ومع ذلك فإن سكان أعالي الجبال لا يسمون بربرا فمثلا في الجزائر يسمون " القبائل" ولهجتهـــم القبائليـــة

---

1 - نفسه 64

2 - ابن خلدون عبد الرحمن، العبر . (بيروت : دار الكتاب اللبناني، 1968) ج : 1 ، ص ، 265.

3 الجزائر الثائرة.64.

والقبائل جمع قبيلة وهي عربية، وفي المغرب الأقصى بالشلوح وهجتهم الشلحية وهي نسبة إلى قبيلة، ويرى أن هذه النسبة تدل على أنها نسبة إقليمية، وليست نسبة عنصرية [1]، ويضرب مثلا حيا بالمجاهد عبد الكريم الخطابي [2] الذي ينسب إلى العروبة، والتهامي الجلاوي[3] الرجل الذي أصبح بالدعاية الفرنسية زعيم البربر وقائدهم الأكبر ويقال عنهما أنهما من الأشراف ينتسبان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

وبعد إن هذه الأفكار التي جاءت في رد الورتلاني على بعض التساؤلات حول موضوع البربر و العرب في بلاد المغرب العربي، و نشرته جريدة بيروت في عددها رقم 5333. يزيح الستار عن عقلية رجل طموح، وفي الوقت نفسه عن شخصية فكرية تتميز بقدرة على قراءة التراث، والاستفادة منه، وتوظيفه توظيفا عقلانيا في معالجة قضايا الأمة وقيمها، لاسيما في ظروف كانت تتعرض فيها هذه القيم إلى التشويه والمسخ المتعمدين، وفي موضوع خطير على الكيان الوحدوي للأمة كموضوع التفرقة العرقية والثقافية الذي يخلق شعور بالأقلية النافرة، و التي شكلت، ومازالت تشكل إحدى المنافذ الأساسية لتسرب الفكر الاستعماري الذي يسعى دائما إلى الهيمنة والاستغلال.

د/ إسماعيل سامعي

---

1 - الجزائر الثائرة، 65.

2 - عبد الكريم الخطابي : (1300-1383/1882-1963) زعيم قبائل الريف قاد حربا ضد الأسبان عام 1924، وتقدم نحو المناطق السلطانية (مناطق الاحتلال الفرنسي للمغرب الأقصى)، لكن الخلاف دب في صفوفه فاضطر إلى التسليم، عام 1926 ، و نفي إلى إحدى الجزر بالمحيط الهادي، ثم فر منها عام 1947 إلى القاهرة أين اشترك في النضال من اجل بلده وبلدان المغرب العربي توفي بها عام 1963. ينظر : المعجم العربي الأساسي (لاروس) 1989 ص : 405.

3 - الجلاوي سي التهامي أحد كبار الباشاوات في جنوب المغرب الأقصى، وأحد كبار عملاء فرنسا خدم الاستعمار لمدة طويلة، وهو منفذ مؤامرة خلع السلطان محمد الخامس ومبايعة ابن عمه محمد بن عرفة، ونفي السلطان إلى مدغشقر. ينظر شارل اندري جوليان : إفريقيا الشمالية تسير ص 411.
يحي جلال : المغرب الكبير ،(بيروت : دار النهضة العربية، 1981) ج 4 ، ص، 327.

الأستاذ الورتلاني مع عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية والأمين الحسيني مفتي الديار المصرية الصورة أخذت سنة (1951) بالقاهرة.

الفضيل الورتلاني من خلال " الجزائر الثائرة"

الأستاذ/ باديس فوغالي
جامعة الأمير عبد القادر

كلمة البدء:

عندما اقترح علي الأستاذ إسماعيل سامعي الإسهام بورقة في الراحل المجاهد "فضيل الورتلاني" ، ترددت قليلا، لأنني وبكل صراحة وصدق لم أقرأ للرجل من قبل، فكل ما كنت أعرف عنه ثمة أخبار مبتسرة تتعلق بنضاله المستميت في سبيل العربية والعروبة، وكذا رحلاته المتعددة في شتى أقطار العالم العربي والإسلامي حاملا رسالة التوعية، وتهيئة النفوس لمؤازرة الشعوب المستضعفة التائقة إلى الحرية والتحرر في شمال إفريقية.

لكن، وبمجرد ما وقعت يداي على كتابه الموسوم ب"الجزائر الثائرة" حتى تبخر ذلك التردد، وشعرت أن الرجل جدير بأن يقف المرء على عتبة من عتبات آثاره، عله يقدم شيئا زهيدا من رؤاه الفكرية والسياسية، وذلك أضعف ما يمكن أن يقدمه متأخر لمتقدم ضليع عركته الحياة،وشكلت منه طينة لا تعجن ، ودعامة لا تهشم عراها المحن والنوائب.

ولأن الدعوة إلى الكتابة عنه جاءت في سياق إعادة الاعتبار للشخصيات الوطنية، التي ضحت لأجل الجزائر، متساوقة مع ظاهرة التكريم التي بادرت بها جامعتنا (الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية) منذ عامين، في إطار تعريف الخلف بأمجاد ومآثر السلف من خلال تسمية دفعات التخرج بأسمائها إجلالا، وإكبارا، لما قدموه من نفيس الجهد، وخالص الوفاء لوطننا الحبيب، لهذه الأسباب وجدتني أقبل على هذه الكلمة دون أدبار، رغم قلة المؤونة، و هشاشة الأداة.

فمن هو فضيل الورتلاني ؟

الورتلاني أحد أعلام الجزائر الذين آتاهم الله بسطة في العلم وحمل رسالة التنوير، منذ يفاعته إلى أن لقي ربه.

ولد في يوم 6 فبراير عام 1900م، بقرية (آنو) التابعة لبلدية (بني ورتلان)، ولاية سطيف، والتي نسب إليها. اسمه الحقيقي "حسنين الفضيل" ، نشأ وترعرع في بيت علم وجاه، فجده الأكبر من أبيه هو الرحالة الأديب "سيدي الحسين الورتلاني"، المشهور برحلته المعروفة ب" رحلة الورتلاني".

حفظ القرآن في مسقط رأسه، وأتمه وهو طفل غرير، ثم انتقل إلى مزاولة الدراسة النظامية بالقرية نفسها،أين تلقى مبادئ العلم والمعرفة على أيدي مشايخ إجلاء.

وفي عام 1928 انتقل إلى مدينة قسنطينة، حاضرة العلم والعلماء، لمواصلة تعليمه الثانوي في حضرة الإمام "عبد الحميد بن باديس"، فكان شعلة من التوقد في التنقيب عن مظان المعرفة بدون هوادة ولاكلل، الأمر الذي أهله لتولي التدريس بالجمعية الخيرية، والتي تحولت فيما بعد إلى مدرسة التربية والتعليم، ولأنه كان منقطعا بكل مداركه ووجدانه إلى معين التحصيل، فقد وقع في قلب الشيخ ابن باديس وقعا حسنا إذ صار أثيرا لديه، يصحبه معه في رحلاته المتعددة داخل الوطن، مما سمح له الظفر بكثير من المحامد التي تحلى بها الشيخ، فقويت ملكته، وتصلبت عزيمته، وغدا فارسا من فرسان البيان، إذا نطق أقنع، وإذا جادل أفحم، وإذا استرسل في فنون القول شد الأسماع إليه، حتى عرف بتفوهه وسداد رأيه، إلى جانب حنكته في صقل الكلام المأثور منه والمنثور، وبرع في النقد، وألم به بحنكة بارعة تعرف كيف تعيد الحياة لموات القضايا، وكيف ترمم وتبني دون خدش مباشر أو صراحة جامحة.

وعندما أزف عام 1932 كان الورتلاني يتصدر بمقالاته المعمقة الهادفة جريدة " الشهاب"، التي كانت تصدر بقسنطينة، وينتقل في أرجاء الوطن ناشرا أفكار الخط السياسي والثقافي لجمعية العلماء المسلمين حاثا الشباب إلى ضرورة الإقبال على طلب المعرفة، الأمر الذي شجع الكثير من الشباب المتعطش إلى شد الرحال صوب " الجامع الأخضر"، الذي كان نواة مصغرة لجامعة تعنى بمختلف العلوم الإنسانية والشرعية.

ولأنه كان يتقن إلى جانب العربية والأمازيغية اللغة الفرنسية، فقد كلفته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتمثيلها في فرنسا، فناضل هناك بكل مـــا أوتي من ذكاء

وفلسفة، حيث عمل على (**إسماع صوت الجزائر العربية المسلمة للعالمين الشرقي الإسلامي العربي، و الغربي الأوروبي**)" 1" على حد سواء.

فقد قضى زهاء أربع سنوات في العمل الدؤوب، والنشاط الفاعل الذي مكنه من فتح عدة مراكز للدعوة الإسلامية، استقطبت الآلاف من أفراد الجاليات العربية الإسلامية المقيمة في ربوع " فرنسا".

ولما شعر بضرورة عدم المكوث في فرنسا لأسباب أمنية تخص نشاطه الديني والسياسي شد الرحال إلى مصر، وكان ذلك عام 1940، وبها اختلف إلى جامعة الأزهر،فواصل دراسته بكلية أصول الدين والشريعة الإسلامية، وفيها تخرج محرزا على الشهادة العالمية وهي أعلى شهادة كانت تمنحها الجامعة آنذاك.

ليتفرغ بعد ذلك إلى النشاط السياسي ومجال الدعوة الذي عقد العزم على تحمل أعباء نتائجه على جميع المستويات مضحيا بوقته وصحته وعائلته، وكان لنشاطه آثار محمودة كللت بنتائج باهرة، نلخصها في إسهامه الوافر في تأسيس عدة منظمات ذات طابع سياسي وتحرري، منها:

1 ــ اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر المؤسسة بالقاهرة عام 1942.

2 ــ جمعية الجالية الجزائرية.

3 ــ جبهة الدفاع عن شمال إفريقية، والتي تأسست عام 1944.

4 ــ جبهة تحرير الجزائر التي أنشئت بلبنان متزامنة مع انطلاق ثورة التحرير الكبرى عام 1954.) "2"

وبعد انطلاق الثورة المسلحة أخذت مساعي الفضيل الورتلاني منحى آخر، تبلورت في تجنيد قلمه وتشغيل الطاقات التي توفرت لديه لشرح القضية الجزائرية، وكشف نوايا الاستعمار الفرنسي، وخباياه بكل الوسائل والطرق متنقلا من بلد إلى آخر، يحمل في جوانبه هم الوطن حتى أدركه الأجل بعد مرض عضال ذات مارس من عام 1959بأنقرة عاصمة تركيا وبها دفن.

وبعد الاستقلال وفي 12 مارس عام 1987 حمل رفاته إلى أرض الوطن ليعاد دفنه في مسقط رأسه ببني ورتيلان، تاركا وراءه رصيدا محترما تمثل في مقالات أدبية وفكرية وسياسية، نداءات، حوارات صحفية، وخطابات مفتوحة إلى قادة سياسيين، ودبلوماسيين عــرب وأجانب، تخص القضية الجزائرية ومصير شعوب المغرب العربي

الكبير، جمعت في كتاب، اختار له عنوان " الجزائر الثائرة" مستوحى من ثورته وتمرده على الظلم والطغيان، وتبركا بالثورة الجزائرية المسلحة التي عرفت عامها الرابع آنذاك.

قراءة في الكتاب:

"الجزائر الثائرة" من الحجم المتوسط، صدر في طبعته الثالثة عن" دار الهدى" بعين مليلة في حوالي 500ص.

وقد صدر في طبعة أولى وصاحبه على قيد الحياة عام 1956، بمبادرة من بعض أصدقائه وإخوانه في درب الإرشاد والإصلاح في بيروت، يقول عن ظروف ومساعي إخوانه الذين ألحوا عليه بضرورة جمع آثاره في مؤلف: (..وبعد فلقد طلبت مني " جماعة عباد الرحمان" الكرام ورائدهم المجاهد " محمد عمر الدعوق" أن آذن لهم في جمع طائفة من المقالات كنت نشرتها بهذه الفترة القريبة، في جرائد سوريا ولبنان، وما كانوا في حاجة إلى أن يطلبوا مني الإذن في فعل المعروف، ولكنه كرم الخلق منهم، وحسن الأدب، فأنا أشكرهم فوق الإذن لهم، وأعتذر عن هذه البضاعة المتواضعة ، التي يقدمونها في كتاب إلى الناس.. راجيا أن تؤدي عني وعنهم بعض الواجب إن شاء الله) "3". ثم أعيد طبع هذا الكتاب في عام 1963 بالبلد نفسه.

يتضمن المؤلف جملة من الموضوعات معنونة بعناوين مختلفة مستوحاة من مضامين المسائل التي طرقها الورتلاني، يبدو من خلال ترتيبها الاهتمام أكثر بعملية جمع آثاره المتفرقة في مختلف الصحف والمجلات العربية قصد حفظها من التلف والنسيان، لذلك جاء تصنيفها غير خاضع لأصول التبويب المعروفة في إخراج الكتب للطبع.

الطبعة الثالثة من الكتاب أرفقت بمقدمة مطولة للأستاذ "محمد الصالح الصديق " في اثنين وعشرين صفحة، استهلها بواجب المثقف إزاء من سبقوه، وبخاصة الرجال الذين صنعوا، أو ساهموا في صناعة جزء من ثقافة وذاكرة الأمة، بالوقوف عند إنجازاتهم والتنويه بأعمالهم بالذكر الحسن، وتقديمهم للناشئة في الصورة التي يستحقونها، متعرضا إلى أهم محطات حياة الورتلاني، ابتداء من الولادة والنشأة مرورا بمختلف المراحل التي قطعها في حياته مضحيا بالغالي والنفيس من أجل القضية الجزائرية، وتحمل المهمة التي أنيطت به، وهي نشر الوعي القـــومي الوطني والديني في

نفوس الجاليات العربية والاسلامية كلما حط به الرحال في قطر من الأقطار العربية والغربية.

وقد تميزت كلمة الأستاذ المصدرة للكتاب بقيمتها الأدبية والجمالية في كشف النقاب عن هذه الشخصية الإصلاحية الوطنية الفذة، وإعطائها المكانة التي يجب أن تعطى لها من خلال التعرض إلى مختلف مراحل حياته الضاجة بالحيوية والنشاط لنشر رسالة العلم والتنوير، وإسماع صوت الجزائر الحرة، وكذا الشعوب المغاربية والعربية والاسلامية إلى مختلف دوائر القرار السياسي في العالم، مناضلا ومحاورا، ومحللا، وخطيبا مصقعا، لا يعرف الخمول إلى نفسه طريقا إلى أن اشتد عليه المرض ولقي ربه.

أما الكلمة الختامية فقد دبجها الأستاذ " رفيق سنو" تحت عنوان " كلمة عباد الرحمان الختامية" . تحدث فيها عن علاقته الخاصة بالورتلاني، فقد كان أعرف الناس به ـــ كما يقول ـــ إذ لازمه طيلة خمس سنوات، ولذلك جاءت كلمته متماسكة تحت عناوين فرعية غطت كامل مراحل حياته، منها:

كيف عرفت الورتلاني ـــ الورتلاني في البحار ـــ الورتلاني في بيروت ـــ الصحبة ـــ تأثيره على الطبقات ووفاؤه لوطنه ـــ إهماله لصحته ـــ تضحياته و تضييعه للفرص ـــ نموذج من أسفاره إلى أروبا..إلخ.

والمتأمل في بناء الكتاب يلفيه مزيجا من المقالات، والمقابلات الصحفية والخطابات الموجهة إلى بعض السفراء العرب والأجانب، إلى جانب برقيات موجهة إلى رؤساء دول ، و حكومات منهم:

ـــ رئيس الجمهورية السورية

ـــ جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، ملك المملكة السعودية.

ـــ جلالة سلطان مراكش مولاي محمد بن يوسف

ـــ دولة رئيس حكومة مراكش" محمد بكاي".

ـــ رئيس حكومة فرنسا " جي موليه"

ـــ الأمين العام لجامعة الدول العربية

ـــ رئيس المجلس الاستشاري الفرنسي، وغيرهم.

وما يلاحظ على مقالات الورتلاني تميزها بالخط الوطني الذي رسمه لنفسه منذ غادر الجزائر إلى فرنسا ومنها إلى دول عديدة عربية وغربية،رافعا في نواديها السياسية

والثقافية صوت الجزائر عاليا، منددا بجرائم الاستدمار، وداعيا الشعوب العربية والإسلامية إلى التحرر، ومقاومة العبودية والاستغلال بجميع أشكاله وصوره.

ففي مقال له بعنوان" الجزائر تجاهد منذ خمسة قرون" استعرض الأستاذ الراحل تاريخ الجزائر ومقاومتها للحملات العديدة التي تعرضت لها في تاريخها ابتداء من الأسبان، فالإنجليز، فالبرتغال إلى الفرنسيين في العصر الحديث،مبرزا صور النضال والمقاومة الشعبية التي أبداها الشعب الجزائري في رفض الدخيل واستماتته بالتمسك بأصوله وجذوره الدينية والثقافية، وألمع إلى نماذج من هذه المقاومة منها:

ثورة الأمير عبد القادر الجزائري، ثورة المقراني وابن الحداد، الانتفاضة الشعبية العميقة بما يسمى أحداث الثامن 1945، وانتهاء بثورة الفاتح نوفمبر المجيدة.

كما دافع في العديد من المقالات عن المجاهدين والثوار الجزائريين الذين شهروا السلاح في وجه الطغمة العسكرية الغاشمة المدججة بأحدث ما صنعته معامل الحربية آنذاك، ووصفهم بالشجعان الأبطال الذين آثروا الشهادة على الحياة تحت نير الذل والهوان.

كما كشف المخطط الفرنسي الاستيطاني الاستلابي لطمس الشخصية الجزائرية حين عمد الاستدمار الفرنسي إلى ضرب اللغة العربية في الصميم، بإصداره قانونا جائرا جعل اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في التعليم والإدارة والمعاملات العامة والخاصة الداخلية منها والخارجية، في حين عد هذا القانون اللغة العربية لغة أجنبية، مع تسليط المراقبة الدقيقة على كل من يشتبه في تمسكه بلغته وثقافته المتوارثة وملاحقته بكل الطرق والوسائل.

وتحت عنوان " فرنسا تحارب الإسلام علنا في الجزائر" كتب الورتلاني في جريدة "بيروت المساء"، وكذا "المنار الدمشقية" يميط اللثام عن السياسة الاستدمارية المنتهجة من قبل فرنسا لطمس الشخصية الوطنية الجزائرية، وفشلها في محاولة يائسة لفرنسة الشعب الجزائري، هذا الشعب الذي رفع التحدي، وتشبث بقيمه الوطنية والدينية، حتى استطاع بفضل العمل الدؤوب الذي تحمل عبئه ثلة من المصلحين أن يتغلغل في العمق الفرنسي بما أتيح له من إمكانية الحوار الهادئ الرصين، والقناعة التامة بحقه المشروع في نيل الاستقلال، إلى غيرها من المقالات التي اتسمت في عمومها

باللباقة في الطرح، والحنكة في معالجة الأمور الحساسة، والسمو بالخطاب إلى مستوى النضج السياسي والعمق الفكري، الذي تتصف به كتابات الورتلاني دون إهمال الجانب الفني الذي أظهر في ضوئه مقدرة فائقة على بلورة القضايا التي يتبناها دون السقوط في الفجاجة والتقعر.

إن أسلوب الورتلاني يستمد قوته من عراقة العربية وجزالتها، ويمنح ماءه من سلاسة التعبير وتدفقه، إذ يتيح للقارئ تتبع أفكاره، والتمتع بسحر بيانه دون أن يحول الملل بينه وبين ما يقرأ و ذلك لسببين –كما أتصور–:

أولهما: ـــ انشغاله بقضايا كبرى، تعد مصيرية في حياة الشعب الجزائري خاصة والشعوب المغاربية والإسلامية عامة.

ثانيهما: ـــ إتقانه لفن القول والخطاب، واعتماده الحجج القاطعة التي تتكئ على إلمام شامل بالمسائل المطروحة، وكذا التوفر على آليات الغور فيها، وإثارة جوانبها الحساسة.

ففي خطاباته وبرقياته الموجهة إلى بعض قادة الدول، وسفرائها، ورجال الفكر في أنحاء العالم تتجلى ظاهرة إلمامه بحيثيات ما كان يجري في العالم من أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية، وهي الظاهرة التي مكنته من أن يجمع بين أدبية السياسي الخبك. وسياسة الأديب المستوعب لهذه المشكلات بروح تمتزج فيها ممارسة الفعل السياسي بالحس الأدبي الرفيع.

وأما المقابلات الصحفية، فنذكر من باب المثال لا الحصر ثلاث مقابلات:ـــ

الأولى والثانية مع مندوب صحيفة" الجزيدة" في عدديها 860ـ 870.

والثالثة مع مندوب "المنار الدمشقية"

ففي العدد 860 استرسل الورتلاني في حديثه عن أسطورة الوجود الفرنسي بالمغرب العربي، حيث شدد على أن الجزائر جزائرية المنبت، إسلامية الروح، عربية اللسان في جواب له عن زعم الفرنسيين أن الجزائر فرنسية، ومما جاء فيه قوله: (**إن الجزائر ليست فرنسية، وأن الوطن الجزائري، والأمة الجزائرية موجودة منذ آلاف السنين أي قبل أن توجد فرنسا بوضعها الحالي. وأن الجزائر تقع في قارة، وفرنسا تقع في قارة أخرى، يفصل بينهما بحر عظيم اسمه البحر الأبيض المتوسط..وأن الجزائر أمة شرقية، عربية، مسلمة من قبل ومن بعد، وليست فرنسا في شئ من ذلك**

كله..وأن فرنسا ظالمة بكل ما في الظلم، وأن الجزائر مظلومة بكل ما في الظلم من معنى، ولا يزال قانون الظالم مع المظلوم هو وحده السائد في ربوعها) "".

كما أوضح المقصد من " الإدماج" كاشفا النوايا المبيتة التي انطوى عليه هذا المصطلح حين راح المسؤولون الفرنسيون يلهجون به في كل ناد ومحفل، مقدما أمثلة حية من الواقع المرير الذي كابدت أواره فئات عريضة من الشعب الجزائري على مستوى الوظائف الإدارية والقضائية والعسكرية، وكذا المجالس النيابية المحلية والوطنية، حيث تؤول كل المراتب والوظائف السامية في هذه القطاعات، وفي غيرها من القطاعات الأخرى الحساسة إلى الفرنسيين، أما الجزائريون فلا يحوزون من ذلك إلا على القشور وهم في جميع الأحوال تبعا للسادة القادة والمسؤولين السامين الفرنسيين.

كما أن اللغة العربية في قاموس هؤلاء تعد أجنبية إلى غير ذلك من المسائل التي شرحها الورتلاني، وأوضح في ضوئها تبعية الجزائريين للفرنسيين، مفندا تلك المزاعم الكاذبة بالأدلة القاطعة، وحجج مستقاة من الواقع الماثل بكل قوة وجلاء.

وفي العدد 870 دار الحوار حول" قضايا التحرر في المغرب العربي الكبير"، إذ نستشف من خلاله أن الورتلاني كان يطمح في أن تتوحد دول المغرب العربي الكبير تحت دولة واحدة، إذ يجيب فيقول:(إن اتحاد أقطار المغرب العربي في دولة واحدة أو متحدة، ليس أمرا ممكنا فحسب، بل هو الواجب المقدس الذي يسعى إليه كل مواطن حر صادق)" 5": مبررا نيته بتوفر أهم الروابط بين أبناء المغرب العربي وهي رابطة الجنس، ورابطة الدين، ورابطة المذهب، ورابطة اللغة، ورابطة الآمال المشتركة في إجلاء الأجنبي عن المغرب العربي الكبير.

والواقع وإن كان طموح الراحل " الورتلاني" المرتبط مرآتيا بظروف تلك المرحلة وملابساتها حول ضرورة التوحد تحت دولة واحدة أمرا مستحيلا، فإن إمكانية توثيق الصلة بين بلدان المغرب الكبير ـــ في الوقت الحالي ـــ تعتبر أكثر من ضرورية لاعتبارات وأسباب عدة، ليس هنا مجال التفصيل فيها.

وأما في صحيفة" المنار الدمشقية"، فقد استعرض حين كان يقيم في بيروت وضع الثوار الجزائريين وعددهم، وإيمانهم الراسخ بقضيتهم، وعزمهم المتصلب لإجلاء المستعمر من وطنهم بكل تضحية وإخلاص، كما نبه إلى تلاحم الأحزاب السياسية في الجزائـــر آنذاك، والتي حصـــرها في حزب الشعب، جمعية العلماء، وحزب البيان،

وانصهارها في الثورة المسلحة، مشيرا إلى تساميها عن الخلافات تحت راية جبهة التحرير الوطني.

وفي سؤال وجه له عن " الأقليات في الجزائر" نفى الورتلاني وجود هذه الظاهرة نفيا قاطعا رادا الضجة التي أثيرت حول مقاطعة بعض الجزائريين ل" بني ميزاب" قشة تشبث بها المستعمر الفرنسي لخلق البلبلة، وصدع التماسك الجزائري بسياسته المكشوفة " فرق تسد".

وبعد، فإن كتاب "الجزائر الثائرة" للفضيل الورتلاني جدير بأن يقرأ تلك القراءة التي تتعامل مع الحدث في سياقه التاريخي، وتستخلص من ثناياه ما يمكن أن يعيد لهذا الرجل البار قيمته الأدبية والفكرية وأهمية نشاطه الديني والسياسي في أصعب مرحلة قطعها الوطن الحبيب.

وأدعو القراء والمختصين إلى قراءة هذا الكتاب والإفادة منه،لأن كل ما جاء فيه ابتداء من الوثائق والمراسلات الرسمية، إلى المقابلات الصحفية، فالمقالات المتعددة، وانتهاء إلى الشهادات التي قيلت في صاحبه تستحق من الباحثين والمهتمين شيئا من الاهتمام، الذي من شأنه أن يثمر بإضافة قد تكون نوعية لإثراء المكتبة الوطنية، والأرشيف الجزائري.

كما أشير في ختام هذه الورقة إلى أهمية بعض المقالات، وإمكانية ضمها إلى مختلف النصوص التعليمية في المرحلتين الإكمالية والثانوية.

الإحالات:

1ـــ أنظر/ الجزائر الثائرة. دار الهدى .عين مليلة . قسنطينة . الجزائر . ص32.
2ـــ المصدر نفسه .ص 34.
3ـــ المصدر نفسه . ص 41.
4ـــ المصدر نفسه. ص 56.
5ـــ المصدر نفسه. ص48.

أ/ باديس فوغالي

جهاد الفضيل الورتلاني بفرنسا ومصر

الأستاذ/عبد المجيد قدور
جامعة الأمير عبد القادر

يموت العظماء فلا يندثر منهم إلا العنصر الترابي، الذي يرجع إلى أصله. وتبقى معانيهم الحية في الأرض، قوة تحرك، ورابطة تجمع، ونورا يهدي. وعطرا ينعش، وهذا هو معنى العظمة، وهذا هو معنى كون العظمة خلودا، فإن كل ما يخلف العظماء من ميراث هو أعمال يحتذيها من بعدهم، وأفكار يهتدون بها في الحياة، وآثار مشهودة ينتفعون بها، وأمجاد يعتزون بها ويفخرون، والاعتزاز والفخر من الأغذية الروحية الحافظة لبقاء الجماعات (1) .

تفتخر الأمم بما وهبها الله من علماء، وبما أنجبت من أبطال. ولا تفتأ تفتخر بمآثرهم، وتحي ذكراهم وتباهي بمنجزاتهم حتى تجعلهم قدوة، وهداة للناس، ومن هنا وجب علينا أن نعطي أولئك النجوم الذين خصهم الخالق بمواهب، وزودهم عنايته بنفوس مهيأة للقيادة والريادة .(2)

حاولت أن أجد ما يشبع فضولي لمعرفة هذا الرجل العظيم لدى الناس، ولكن لم أجد من الكتب ما يشفي غليلي .استغربت الأمر وقلت لماذا سكت الأحباب والأصدقاء عنه وهو المصلح المشهور والصحافي البارع ؟ وحتى المنصفين من الكتاب الذين كتبوا عن الصحافة وتاريخها، وعن الصحافيين الجزائريين لم يتكلموا عن هذا القطب المتميز.

كم هم الذين كتبوا عن الثورة الجزائرية، ولا سيما خلال سنواتها الأولى لم يرد اسم هذا العلم بين أعلامها- وهو كعلم على رأسه نار- وهو البطل الذي قيل أنه كان همه الوحيد قضية الجزائر والثورة الجزائرية. وكم كتب حول

جمعية العلماء ورجالها المشهورين، وعلمائها الأفذاذ، وقد نوقشت رسائل جامعية في هذا المجال لم أجد من بينهم للفضيل الورتلاني ذكرا، إلا بعض الشذرات الخافتة والمخفية . لماذا هذا الإحجام، ولماذا هذا التجافي. الكثيرون يعرفون الفضيل حقا، ولكن القليلين جدا هم الذين كتبوا عنه أشياء.

نشاطه الإصلاحي بفرنسا:

لم تقتصر جهود جمعية العلماء المسلمين على إصلاح الجزائريين في الداخل فحسب، بل احتضنتهم حتى في - ديار الغربة-، و في فرنسا دولة الاحتلال حيث أرسلت الدعاة والعلماء إلى المناطق التي يقطنها الجزائريون. فمنذ منتصف سنة 1936 غادر الشيخ الفضيل الورتلاني الجزائر قاصدا فرنسا، حيث يوجد عشرات الآلاف من العمال الجزائريين الذين هاجروا إليها مضطهدين إما جريا وراء لقمة العيش التي أصبحت من العسير الحصول عليها بالجزائر بسبب سياسة البلديات المختلطة والاستغلال الكولونيالي للفلاحين الجزائريين(3) .

ومع تقدير الإمام ابن باديس لمواهب ابنه الروحي الفضيل الورتلاني، وإخلاص هذا الأخير وتفانيه في العمل التربوي والإصلاحي بالإضافة إلى سمعته الواسعة، ومكانته لدى الجزائريين. فضل أن يلتحق بفرنسا لأنه أدرك أن الأقدار أعدته لحياة خاصة، كلها كفاح وجهاد وتنقل وأسفار من أجل تبليغ رسالة، ومن أجل تخفيف معانات الناس وآلامهم، وإضاءة طريق الحياة الحقيقية أمامهم

لقد رأى أن عليه أن يلتحق بإخوانه المهاجرين بفرنسا الذين اضطرهم مطالب الحياة ترك وطنهم العزيز لسبب من الأسباب، وأن عليه أن ينتشلهم من الضياع في مباهج الحياة الأوروبية وزخرفتها المغرية، ولا سيما الشباب الذين يسهل جرهم إلى التمسيح ومسخ شخصيتهم العربية الإسلامية، وقد غادر إلى فرنسا سنة 1936 وهو مسلح بالإيمان الصادق والحماس الجياش وبوصايا وتعليمات إمامه وقدوته الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله(4).

ومن البديهي أن أول ما يلفت الأنظار ويأسر الألباب في فرنسا هو مبانيها الشاهقة ومناظرها الخلابة وشوارعها الفسيحة وأرصفتها المصقولة المزدحمة، وتلك الأنوار المضيئة المتلألئة ليلها كنهارها .الناس تجتذبهم الملابس المعروضـــة على الواجهـــت وأدوات الزينة والمقاهي والملاهي، لكن أين الشيخ

الفضيل من تلك الأشياء الزائفة؟ فهو لا يشغله إلا رسالته التي جاء لفرنسا من أجل تبليغها ولا يهتم إلا بهموم بني وطنه التائهين في عالم غريب، وأمر ليس له قرار.

وبدأ يتعرف على الجزائريين شيئا فشيئا، وخلال أشهر قليلة اجتمع حوله العمال الجزائريون وأخذوا يلازمونه ويحضرون دروسه بانتظام، وقام بإنشاء حركة علمية تهذيبية بفرنسا على نمط جمعية العلماء بمختلف المدن الجزائرية.

وقد أخذ الأستاذ الفضيل الورتلاني يتعرف على البيئة والناس أولا، ثم يحاول التعرف على مافي عقولهم من خير، وما تكنه صدورهم، ثم يعمل على تنمية الجوانب الإيجابية والخيرة منها، ثم يعمد إلى تقويم السيئ منها، وجبر المعوج. وقد قال الشيخ محمد الصالح الصديق :نفخ في أبناء الجزائرهناك الروح الوطنية الصادقة، وطهر عقولهم مما نقلوه من زائف المدنية، وجراثيم الإلحاد وسخافات اجتماعية بالية قدرة ؟ (5).

وبعد جهود شاقة، وعمل متواصل دؤوب .استطاع الشيخ الفضيل أن يؤسس جمعيات خيرية، ومدارس تعليمية تهذيبية، وأندية ثقافية ورياضية، في كل أماكن وجود الجالية الجزائرية من المهاجرين. وإذا كان الغريب في الأمر هو نجاح هذا النشاط الثقافي المنقطع النظير. فإن الأعجب من ذلك هو كونه يجري على أرض فرنسا، التي تضيق الخناق على أي نشاط مثله بالجزائر. وتضطهد القائمين به. ولعل ذلك يعود إلى الدهاء السياسي، واستعمال التقية حتى لا ينكشف أمر أبناء جمعية العلماء الذين يعد الفضيل من أبرزهم. وأقدرهم على التأقلم والتمويه، لبلوغ الهدف المنشود، وقد يعود إلى أن الوضع في فرنسا فيه نوع من الحرية النسبية عن الجزائر.

وقد قال عنه الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي: " ..جاور البحر سنة 1936 بموافقة من الأستاذ الرئيس، ومني ليرد على الضالين من أبناء قومه هداية الإسلام، ويرد على الناشئين هناك من أبنائهم ما أضاعه الوسط من دين ولغة. وليزرع في قلوب الآباء والأبناء معا حب الدين، والجنس واللغة والوطن. وليعيد للجزائر بذلك كله قلوبا قد تنكرت لها، وأفئدة هوت إلى غيرها. وغراسا أضماهم الاستعمار في مغارسه. فالتمس السري في والنماء في غيرها.

فتتبعهم الفضيل في مطارح اغترابهم، وجمع شملهم على الدين، وقلوبهم على التعارف والأخوة، وجمع أبناءهم على تعلم العربية،وأسس في باريس وضواحيها بضعة عشر ناديا، عمرها هو ورفاقه الذين أمدته بهم جمعية العلماء، وبدروس التذكير للآباء، والتعليم للأبناء، والمحاضرات الجامعة في الأخلاق والحياة، ونجح الفضيل في أعماله كلها نجاحا عاد على المسلمين في فرنسا بالخير والبركة (6).

ونجح الفضيل لأنه كان مؤمنا بالله، وكان أيضا قويا، وقوة الفضيل تكمن في العقل والروح وفي اللسان والقلم. فقد كان- رحمه الله- فصيح اللسان خطيبا يأسر الألباب، بما وهبه الله من عقلية وذهنية متقدة، وبما اكتسبه من وسائل الإقناع والتأثير، والقدرة على الارتجال الذي لا يضاهى، فهو إذا صعد المنبر أو المنصة يخطب اشرأبت له الأنظار، وسمعت له الآذان، وانجذبت نحوه الأحاسيس والمشاعر.

وإذا خطب باللغة الأمازيغية فهو لا يختلف عنها بالعربية، وقد قيل أنه ألقى خطابا ذات مرة وسط حشود من أبناء الجزائر بفرنسا، سحر القلوب وأسر الألباب، ولما نزل من المنصة ارتفعت أصوات من القاعة تهتف له إعجابا وتقديرا، وأخرى باللغة الأمازيغية تبدى الأسف من غموض الخطاب. فما كان عليه إلا أن صعد المنصة مرة ثانية، فألقى خطابا بالأمازيغية اهتزت له القاعة تصفيقا وهتافا.

وهذا دليل على مقدرته الخارقة للعادة، فقد كانت الخطابة أحد العناصر التي نبغ فيها الفضيل بفرنسا، وبها ذاع صيته.وبها أيضا بلغ مكان الزعامة بالمشرق العربي، وحقق بها نجاحات في مختلف الأوساط.وقد قال عنه الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف:"لعل أحسن مثال على من برز في ميدان الخطابة وطلاقة اللسان بالمشرق العربي من تلامذة الجمعية الشيخ الفضيل الورتلاني (7)

ولما اتسعت الحركة بفرنسا، وثقلت الأعباء على الأستاذ الفضيل، أمده أستاذه بنخبة من رجال العلم والإصلاح، فشدوا أزره.ورفعوا جميعا صوت الإسلام والعروبة عاليا في أرض فرنسا. وساروا على المنهجية التي رسمها الأستاذ الفضيل، وكلهم إيمانا بأن كافة معارفهم وأفكارهم وجهودهم يجب أن تكون

في خدمة الإسلام والمسلمين. وأن الظلمات التي ترين على القلوب والعقول لا تزول إلا بالنور: نور العلم ونور الدعوة الصادقة والجهد المتواصل.

وقد ظل الأستاذ الفضيل في فرنسا يؤدي رسالة جمعية العلماء المسلمين، بكل ما أوتي من قوة شجاعة قلبية و عزيمة لا تلين، و بيان مبين وزاد حركة الفضيل دعما واتساعا انضمام شخصيات علمية شرقية إليها، فاجتمع الشمل على إحياء المسلمين، وتوحيد الصف هناك. وانطلقوا جميعا في طريق الدعوة والإصلاح. تدفعهم الإرادة القوية، والرغبة الصادقة في الجهاد بالفكر والقلم. وكان من بين الذين انضموا إلى الحركة بدروسهم ومحاضراتهم الشيخ عبد الرحمان تاج، والشيخ محمد دراز، وهم من كبار علماء مصر، والأستاذ عمر بهاء الأمير السوري .

غير أنه يبدو أن هذه الحركة لاقت معارضة من بعض المغرضين الذين يقلقهم مثل هذا النشاط، وحاولوا أن يطفئوا ذلك النور بخيادهم ومكائدهم ومناوراتهم، لكن هيهات أن ينالوا مبتغاهم.لأن الحركة كانت قائمة على الجهاد المستمر والواعي. تحبط المناورات، وتكتسح المكائد والعقبات، وتستمد قوتها وعونها من الله رب العالمين.

في سنة 1937 شدد الخناق على كل من المشايخ الفضيل الورتلاني. السعيد الصالحي، والسعيد البيباني، ودعاة الجمعية بفرنسا. وفتشت الشرطة نادي التهذيب بباريس وهو مكان له حرمته كالمساجد والمدارس. لأنه يقوم بالتعليم وتقام فيه الصلوات فكان على الداعية الكبير أن يرحل (8).

نشاطه في مصر:

ومع ظهور أول بوادر الحرب العالمية الثانية، غادر الأستاذ الفضيل فرنسا إلى مصر- لاسيما والسلطات الفرنسية تتعقب كل تحركاته. وتحسب خطواته. وتأخذ بمتنفسه تمهيدا لإلقاء القبض عليه.وكان ذلك في أواخر سنة 1938.

وفي مصر التحق الفضيل الورتلاني بالجامع الأزهر معقل العروبة والإسلام لإكمال دراسته العليا تحصل على الشهادة العالمية الأزهرية، وهي أعلى شهادة تمنح في الأزهر.ولم تثنيه الدراسة عن بلاده فكان دائما يتابع أخبار الجزائر وما يجري بها، لاسيما على الساحة السياسية، وما يجري بها.فكانت

تعجبه الأخبار الطيبة ويفرح بها، ويتأثر بالسلبي منها ويحزن ويتألم، وكان إذا تقابل مع جزائري فتح له قلبه وأحس بالإرتياح .

وفي القاهرة مركز الثقافات المختلفة، والصحافة العالمية، والإذاعات الكبرى المدوية. وهي مهبط المشاهير من العلماء وملتقى النازحين من أبناء العروبة والإسلام، ومجمع العلماء والمفكرين من رجال السياسة، وأحرار الفكر، الذين ضاقت بهم بلدانهم وحامت حولهم مضايقات الاستعمار.ا ليحملوا لواء القضية في وجه العدو خارج بلادهم. فقد كانت القاهرة بحق قبلة الثوار، ورباط المجاهدين الأحرار، ولاسيما من بلدان شمال إفريقيا .

وفي هذا الجو المفعم بالنشاط والحيوية، وجد الفضيل الورتلاني ضالته فآثر المكوث بالقاهرة لمواصلة جهاده الإصلاحي، خاصة بعد تخرجه من الأزهر، وبعد أن أصبح على علاقة متينة تربطه بأبرز الشخصيات العلمية والدينية بالأزهر الشريف، ولاسيما دعاة الإصلاح والتجديد منهم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان عليه أن يواصل جهاده ضد الاستعمار، والاستعمار الفرنسي خاصة لتحرير بلاده، والجهاد في سبيل الله ونشر دينه، وكانت مصر مع بداية الخمسينات كالبركان الذي أوشك على الانفجار .

وجد هذا المجاهد الجو ملائما بمصر، بل مشجعا على مواصلة الجهاد من أجل الجزائر والقضايا العربية والإسلامية الأخرى، فانطلق بعزيمة أمضى، ونفس لا تعرف الملل أو الفتور، و رغم بعده عن الجزائر كان يقلق السلطات الفرنسية، ويكدر صفو حياتها، بمواقفه الدفاعية عن القضية الجزائرية. وبمقالاته الصحفية الجريئة التي يعدهم فيها بالويل والثبور.

وكان الأستاذ الفضيل الورتلاني يزور كثيرا من الأقطار العربية والإسلامية كالكويت وإيران والمملكة العربية السعودية والبحرين وباكستان كما زار بعض بلدان أوروبا كاليونان وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال، وكان له في كل بلد يزوره نشاط مكثف، وعلاقات واسعة بمختلف الجمعيات ورجال العلم والفكر والقلم والدعوة.

كان الأستاذ الفضيل يحمل بين جوانبه في كل سفر ، وفي كل بلد يزوره وفي كل عمل ينجزه ثورة ملتهبة لا تدعه يغفل أو ينام مرتاح البال، فهو يعيش

دائما بين أمواج متلاطمة يريد أن يعبرها إلى بر الأمان والطمأنينة. إنها ثورة ضد أوضاع المسلمين بصفة عامة. الأوضاع المفجعة التي صنعها الاستعمار وعملاؤه، الذين فضلوا سيطرة المحتلين وحكم المستبدين .

ولعله شارك في إصلاح نظام التعليم بالأزهر، وإدخال البرامج والمناهج المعاصرة، فبدأ سنة 1950 إنشاء الكليات الثلاث، كلية الشريعة وأصول الدين، وكلية اللغة العربية وكان هذا هو بدء التنظيم العلمي للدراسة الأزهرية وإدخال ما يعرف بالعلوم الحديثة (9).

وفيما يتعلق بالرئيس جمال عبد الناصر والإخوان، قال الرئيس جمال عبد الناصر: "أن حياتي الخاصة لها غرضين هما عائلتي وعملي .فعملي كله للشعب وكلنا هنا لا نعمل إلا لشعب مصر، ولنا روحا واحدة، ولهذا لا نستطيع أن نتسامح مع من لا يعمل من أجل مصر .

و أن ألفين من الإخوان المسلمين في السجن ومائتين من الشيوعيين، وسيطلق سراحهم إذا عرفوا واجبهم : وهو العمل من أجل بلادهم فقط، ولو احتفظوا بأفكارهم لأنفسهم " .

يشير عبد الناصر هنا إلى أن الإخوان المسلمين لو لم يفرضوا أفكارهم على الناس بالقوة، لما اتخذ منهم ذلك الموقف، ولبقوا أحرارا في بيوتهم، والذي يهمنا هنا هو ما أصاب الورتلاني وما لحقه من ضيم نتيجة قربه من قيادة تنظيم الإخوان، وزعيمهم الروحي حسن البنا حتى ولو أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يداهن الإخوان، ويتظاهر بمساعدتهم (10) .

ويقول الفضيل الورتلاني:((كان لحسن البنا صفات تفرقت في الناس وقلما اجتمعت في شخص واحد، اللهم إلا طائفة نادرة من أولى العزم : للرجل طاقة علية، ينفرد الناس- في- من ناحية من نواحيها، ولا تجتمع لهم، فإذا حدثه الفقيه وجد فيه الفقه الممتاز، ويخيل أن هذه صفته، وإذا اجتمع به الأديب توهم أن هذه صفته، وما له غيرها وإنما هو مكمل، وإذا لقيه السياسي وجد فيه سياسيا من طراز فريد، وحسب أن ماله من الصفات الأخرى إنما هو جزء من يسير، وإذا استمع إليه الناس وجدوه خطيبا فحسب . والحق أن حسن البنا هو تلك الصورة الضخمة التي تجمع تلك الصفات جميعا، وحظ وافر يوازي —

إن لم يزد- ما للمتخصصين فيها من حظ))(11).وقال الورتلاني عنه في مكان آخر: واجتمع لحسن البنا من الصفات التي يختص بواحدة منها العباقرة من الناس، والتي كان يتوهمه على واحدة منها كل من نظر إليه من الزاوية التي يفهمها(12).

ويبدو أنه كان معجبا بالشيخ حسن البنا وجهاده من أجل الإصلاح الديني والسياسي، وهذا ربما يؤثر علي وجوده بمصر، ويقلق السلطات، ويغضب الاستعمار واليهود، وهذا وحده كاف لتهديد أمن وسلامة الشيخ الفضيل، ولا سيما اليهود الذين يراقبون كل شيء، ولا تفوتهم كبيرة ولا صغيرة.

وقد قال سيد قطب ذات يوم :" لقد وقفت على مدى تغلغل الأصابع اليهودية وخطرها، بعد بحث وطول عناء، واليهود إذا علموا أنني أحيط بذلك فلا بد أن أقتل" (13).

تأثره بالوسط الأزهري والإخوان المسلمين، فبالإضافة لكونه خريج الأزهر الشريف، فهو كان من المقربين من قيادة تنظيم الإخوان ، وهذا بحكم أنه من الإصلاحيين الذين تصدوا لما أفسده الاستعمار في الجزائر، وكان الوضع بمصر تحت الملكية الفاسدة، ومخلفات الاستعمار البريطاني، حالة يرثى لها وخاصة وأن قضية فلسطين كانت تعيش داخل كل عربي غيور على دينه وعروبته.

وفي هذا الصدد يقول أنور الجندي :"إن فلسطين هي خط الدفاع الأول، والضربة الأولى نصف المعركة، فالمجاهدون إنما يدافعون عن مستقبل بلادكم وأنفسكم وذراريكم، كما يدافعون عن أنفسهم وبلادهم وذراريهم، وليست قضية فلسطين قضية قطر شرقي، ولا قضية الأمة العربية الإسلامية وحدها، ولكنها قضية الإسلام، وأهل الإسلام جميعا، ولا محل للتدليل على حقوق العرب فيها)).

ثم يضيف أنور قائلا:" وقد كانت قضية فلسطين حقا هي المسرح الأول لجهاد حسن البنا ورجاله وأبنائه بشكل أذهل القوى الاستعمارية، التي أحست بالخطر الذي سيحدث لو نجح هذا التيار. ومن ثمة عملت على إخماده"(14).

في هذا الجو المتوتر، والصراع بين التيارات، وجد الفضيل الورتلاني نفسه بين نارين تيار ثورة 23 يوليو 52 بقيادة جمال عبد الناصر، والذي كان يناصر ثورة بلاده؛ وتيار الإخوان في الدين وزملائه. وأخيرا أدرك الشيخ الفضيل الورتلاني أن مصر لم تعد دار مقام له فقرر الرحيل.

وإذا كان كل مسلم عادي يتطلع إلى تغيير الوضع، وإلى إصلاح، فماذا يكون موقف رجل كالفضيل الورتلاني ؟

الفضيل الورتلاني وملك اليمن :

ويأتي على رأس العلماء الذين كتبوا على الفضيل الورتلاني الشيخ العلامة البشير الإبراهيمي، حيث كتب عنه مقالا يحمل اسمه حيث قال:" وصلتنا من بيروت كلمة الأخ الكريم الحاج خليل أبو الخدود ومعها تصريحات لولدنا الأبر الأستاذ الفضيل الورتلاني، وكنا منهمكين في إعداد اجتماع جمعية العلماء وفي استقبال السنة الدراسية، وما يستلزمه ذلك من أدوات وتجديد الأجهزة اللازمة من برامج ومال ورجال. وقد أدى ذلك إلى تأخر مجلة البصائر عن موعدها لأسباب داخلية. ولذلك تأخر نشر الكلمة وما معها من تصريحات إلى هذا العدد. فمعذرة إلى الأستاذين الفاضلين البعيدين عنا بعد الدار، القريبين منا قرب العمل المشترك والفكرة الجامعة:أبي الخدود والورتلاني. ثم تطرق الشيخ الإبراهيمي إلى خبر عفو أمير اليمن عن المتهمين في الحركة الانقلابية التي ذهب ضحيتها أبيه يحي حميد الدين. ورغم تأسينا للحالة التي عليها العرب من رأينا في الكثير منهم، أن كل ما يصدر منهم من عقد ونقد وعفو ومؤاخذة، فهو ناشئ عن خطرات من الوساوس الفردية، لا عن بواعث من المصلحة العامة، وقالت تلك الأخبار: إن العفو شمل الأستاذ الفضيل الورتلاني المتهم بتدبير الانقلاب والاغتيال، وتبشر أصدقاؤه بهذا العفو، وكأنهم رأوا فيه حدا للحالة التي يعيش فيها، وكأنهم رأوا أن تلك التهمة — الباطلة- عاقت الأستاذ الفضيل في مواصلة جهاده في سبيل العرب والمسلمين، فالعفو يضمن له متابعة الكفاح .

والأستاذ الورتلاني ابن بار من أبناء جمعية العلماء . وغصن من دوحتها فتح عينيه على شعاعها، وسار في الحياة من أول خطوة على هداها، وقضى عنفوان شبابه في أحضانها، وتخرج في العلم والعمل على قاضتها ورمى الغايات

البعيدة بتسديدها، وراد عقله على التفكير الصائب ولسانه على الحديث الصادق في الإصلاح الديني الذي هو أساس مبادئها. فجذبه استعداده القوي منه إلى العمل في ميدان الإصلاح الاجتماعي، وجرته غيرته على وطنه إلى العمل للإصلاح السياسي، وهذه أنواع من الإصلاح متشابكة الأصول متشابهة الفروع، تفصل بينها فواصل دقيقة متلازمة، متوقف بعضها على بعضها، فلا يتم جزء منها إلا بتمام جميعها؛ ومن هؤلاء ولدنا الفضيل، فلما ضاق عنه وطنه الأصغر طار إلى وطنه الأكبر .

ولمكان الأستاذ الورتلاني منا، ومكانته عندنا، وعدنا إياه من أبنائنا البررة ورجالنا الأفذاذ ويقيننا بطهارة ذمته من القاذورات، وتسامي همته إلى بناء المؤثرات نرى أن كلمة " العفو عنه " كما تقول الجرائد، سبة لمن يسب بأفحش منها، ولا نظن أن ولدنا الفضيل ارتاح لها، أو وقعت منه موقعا، لما نعرفه عنه من الشمم وكبر النفس، وما زالت كلمة العفو في مثل هذا المواطن ثقيلة على النفوس الحرة، لا يضطرب لها إلا المذنبون الضارعون، كالذي يقول : " رأيت العفو من ثمر الذنوب، وإذا كان العفو لا يكون إلا عن جان، فإقراره إقرار للجناية .ومتى كان الفضيل جانيا حتى يعفى عنه ؟ أو حتى يكون العفو عنه مدعاة للسرور والابتهاج ؟وقد وقع لنا مثل ذلك مع الاستعمار، يظلمنا، ثم يبدو له فيقول : عفوت عنكم ؛ فلا يكون أحز في نفوسنا من ظلمه إلا عفوه (15).

إن هذا الوصف وهذا الدفاع المستميت والإعجاب الغامر بالفضيل هو خير شاهد وخير دليل على مكانته وإمكانياته التي ليس لها حدود، و لا سيما أن يكون صادرا عن مثل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

والشاهد الثاني هو كتابه- الجزائر الثائرة — فهو أيضا خير شاهد على تفان هذا الرجل في حب وطنه، وسجل لجهاده ومواقفه الشجاعة، فهو لا يساوم في قضية بلاده، ولا يتراجع في قرار اتخذه، إن نصوص هذا الكتاب كلها تدور حول مجموعة من المواضيع لكن يغلب عليها الطابع الثوري والنضال في قضية الشعب الجزائري والتعريف به قبل الثورة وهو صور الثورة بعد تفجيرها وسجل لأحداثها ومرافعات للدفاع عنها ودعوة صريحة لمناصرتها.

إن الثورة الجزائرية كانت شرفا لكل جزائري— بل لكل عربي والفضيل وجد فيها تحقيق أمل كان حلما بعيدا، فتفرغ لها من أول يوم وأعطاها كل وقته وجند لها بقلمه ورفع شعارها عاليا على صفحات الصحف، وفي كل بلاد الدنيا وهتف باسمها على المنابر والمحافل أمام الرؤساء وأمام العلماء وحتى أمام العامة من الناس .

ولمعرفة دور الشيخ الفضيل في الثورة الجزائرية لا بد من العودة إلى البداية. فقد كانت جمعية العلماء منذ تأسيسها، وحتى الفاتح من نوفمبر 54 تبشر بمستقبل زاهر تسود فيه الحرية والسعادة. وكانت تدعو الناس إلى التمسك بأثر الرسول صلى الله عليه وسلم والرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عنهم والتابعين المرشدين الصادقين في الدعوة.

وبعد الفاتح نوفمبر اجتمع أعضاء الجمعية تحت رئاسة الشيخ خير الدين، وبعد مذاكرات طويلة وبعد أخذ ورد وجد الحاضرون أنفسهم مع الثورة، ولا يمكن إطلاقا أن لا يكونوا أن لا معها، لكن مع الحذر التام (16) ومن أجل ذلك يقول توفيق المدني:" فنحن نهيب بكل رجالنا وطلبتنا ومنظماتنا أن يعملوا ما استطاعوا مع الثورة، ويبذلوا في سبيل نصرتها كل نفس ونفيس، مع وجوب المحافظة على المدارس الابتدائية والمعهد، على أن تعلن الجمعية موقفها في اجتماع عام "(17).

ويتابع توفيق المدني كلامه قائلا:" وبعد الاجتماع راسلت الرئيس البشير الإبراهيمي والتمست منه أن يحرر منشورا باسمه كرئيس للجمعية يبارك الثورة ويمجدها، ويدعو الأمة للمشاركة فيها قلبا وقالبا، لكن الرئيس كان قد اصدر فعلا منشورا يحمل توقيعه وتوقيع نائبه الفضيل الورتلاني وموجه إلى الرئيس جمال عبد الناصر والوزير أنور السادات يشكرهما على مروءتهما، فقد كان أول صوت ارتفع مدويا بعد أحداث أول نوفمبر بالجزائر، هو صوت الرئيس جمال عبد الناصر في تصريحاته القوية لجريدة كارفور الاستعمارية، والصوت الثاني كان للسيد أنور السادات وزير الدولة وسكرتير المؤتمر الإسلامي العام .

وبهذه المناسبة أرسل السيدان البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني يشكران القائدين العظيمين ببرقية خاصة لكل واحد منهما (18).

يبدو هنا الفضيل الورتلاني أنه مازال الممثل الرسمي للجمعية في مصر رغم وجود الرئيس الإبراهيمي والدليل على ذلك إننا في ختام الرسالة نجد العبارة التالية : "عن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة الرئيس بشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني " .

وقد نشر على صفحات الصحف المصرية النداء البليغ كاملا، رغم طوله،وهو دليل على موقف جمعية العلماء وممثليها في القاهرة من الثورة، ومن رجالها. ويحدثنا السيد توفيق المدني عن استقبال سيادة الرئيس عبد الناصر لوفد العلماء قائلا : (تفضل رجل الدولة وزعيم الثورة العظيم البكباشي جمال عبد الناصر رئيس حكومة مصر باستقبال وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي كان يشمل الشيوخ الأساتذة البشير الإبراهيمي الرئيس الأول والعربي التبسي الرئيس الثاني، والفضيل الورتلاني المعتمد الداعية العظيم، وأحمد بوشمال العضو الإداري ورغم الأشغال العظيمة لرجل مصر الأول، والمشاكل الداخلية والخارجية التي يمارسها كل يوم.فقد استبقى الوفد ما يزيد عن الساعة والنصف، تبادل فيها الآراء حول المسائل التي تهم العالم الإسلامي والمغرب العربي، والقطر الجزائري بصفة خاصة.وكان الزعيم المصري العظيم يتدفق في كل مسألة بالبيانات الدقيقة، والمعلومات المفصلة حتى كأنه دائرة معارف حية، بارك الله في حياته الغالية، وفي جهوده الموفقة، لخير مصر والعروبة والإسلام (19).

في ذلك اليوم وقع اجتماع آخر بين الرئيس جمال عبد الناصر والاخوة ابن بلة وخيدر ومن معهم، وتعهد الرئيس بأن تقبل مصر على حسابها الخاص 100 من الطلبة الجزائريين لاستكمال دراستهم الثانوية أو الجامعية (20) .

ويبد من استقبال الرئيس جمال عبد الناصر للوفد الذي كان الشيخ الفضيل الشخص الثاني فيه، أن الجو السياسي كان أحوي للغاية، وذلك يعكس مدى رضا الطرفين، و يدل على أن الحكومة المصرية كانت راضية كل الرضى على هذه الشخصية الإصلاحية والإعلامية والداعية في وقت واحد.

وكذلك يبدو من رسائل الشكر التي وجهها- الإبراهيمي والفضيل- إلى الرئيس المصري وإلى وزيره، تدل عن مكانة الشيـــخ الفضيـــل، وتألقه في مجال

الديبلوماسية والسياسة الدولية، وهو بالتالي جدير أن يمثل الثورة الجزائرية ويجاهد بقلمه ولسانه من أجل نصرتها ونجاحها، لكن مغادرته لمصر، وظهوره فجأة ببلاد الشام، يثير علامة استفهام، ما تزال في حاجة إلى توضيح.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أؤكد أنه لا يستطيع باحث في تاريخ الإسلام في العصر الحديث، أن يتجاوز الفضيل الورتلاني، ولن يستطيع مصلح أن ينكر فضل الفضيل في تعبيد طريق الإصلاح وإزالة العقبات منه، وجعله مؤهلا لتحقيق خطوات أخرى(21)، أكثر حسما وقوة في بناء المجتمع الإسلامي على مفهوم القرآن والنهج الإلهي، في جو تسوده الحرية والإخاء .

الهوامش:

1- محمد البشير الإبراهيمي. مجلة البصائر .ع151 ،1951.ص1. أنظر: الأصالة.الجزائر . وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ،ع8 ،مايو-جوان 1972 ،ص255.

2- عبد القادر فضيل . إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس .ص 2 -5 .

3- عبد الكريم بوالصفصاف. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.. ص337 .

4- الفضيل الورتلاني. الجزائر الثائرة.ص18 .

5- الفضيل الورتلاني. الجزائر الثائرة.ص19 .

6- عبد الكريم بوالصفصاف. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين..ص ص338-339 .

7- عبد الكريم بوالصفصاف. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.. ص148 .

8- الفضيل الورتلاني. الجزائر الثائرة.ص21.

9- مجلة المسلم المعاصر ع. ع 55-. 56 يناير-يونيو1990.ص138.

10-- صلاح عبد الفتاح . سيد قطب (الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد).دمشق ، دار القلم،2000 .سلسلة أعلام المسلمين،ع81. ص ص 165 -164

11- أنور الجندي .حسن البنا (الداعية الإمام والمجدد الشهيد). دمشق، دار القلم، 2000 سلسلة أعلام المسلمين ، ع 80، ص353 .

12- أنور الجندي .نفس المرجع. ص485 .
13-مجلة الشهاب اللبنانية .السنة الخامسة، ع11،أيلول ،1971.ص3 .أنظر: صلاح عبد الفتاح . سيد قطب.ص256 .
14- أنور الجندي .حسن البنا.ص415 .
15- محمد البشير الإبراهيمي .عيون البصائر.ج2، ص 688-689 .
16- أحمد توفيق المدني .حياة كفاح .ج3،الجزائر ،ش.و.ن.ت.1982.ص22.
17- أحمد توفيق المدني .حياة كفاح .ج3.ص23.
18- أحمد توفيق المدني .حياة كفاح .ج3.ص ص24-25 .
19- - أحمد توفيق المدني .حياة كفاح .ج3.ص31 .
20- أحمد توفيق المدني .حياة كفاح .ج3.ص31 .
21-أنور الجندي .حسن البنا. ص546 .

الأستاذ/ قدور عبد المجيد

الصورة تمثل الأستاذ الفضيل الورتلاني و بجانبه سماحة الشيخ محمد بشير الإبراهيمي والشيخ العربي التبسي نائب رئيس جمعية العلماء والمفتش العام السيد إبراهيم مزهودي

الصورة أخذت بالقاهرة (سنة 1952).

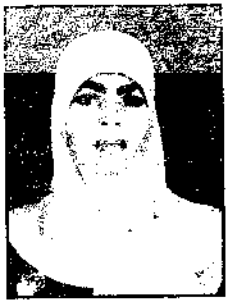

وقفات في نضال الفضيل الورتلاني – المغرب العربي نموذجا–

الأستاذة /زكية منزل غرابة
جامعة الأمير عبد القادر

لقد عرفت الجزائر عبر السنوات علماء أجلاء أسهموا في خدمة هذا الوطن بالمال والنفس واللسان، وبقي التاريخ شاهدا عليهم بما خلفوه من آثار، ومن هؤلاء نذكر العلامة الرحالة، المؤرخ والمراسل الصحفي الشيخ الفضيل الورتلاني، وسنقف مع الرجل في هذه العجالة عند جانب من جوانب نضاله.

فرغم انشغاله بقضية وطنه الأم – الجزائر – التي كانت ترزخ تحت نير الاستعمار، وتتكبد ويلات الظلم والاستبداد، فإن ذلك لم يثن الورتلاني على أن يوجه اهتمامه نحو قضايا أشقائه بالمغرب العربي، ويدافع عن حقوقهم المهضومة وأوطانهم المسلوبة، ليقينه أن ذلك إنما يندرج ضمن رسالته الإصلاحية والنضالية، وهو في البدء تعبير منه عن إحساس وجداني أخوي كثير الروابط والمصالح المشتركة (1)، كيف لا والشعور الديني الذي نص عليه قوله تعالى: [إنما المؤمنون اخوة](2)، والتأكيد النبوي الذي جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: [إن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا] (3)، كلها تستوجب مثل هذا الاهتمام والنصرة، ولا غرابة إذن– إذا وجدنا الورتلاني عضوا مهما في جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا، مدافعا عن شعوب المغرب العربي.

ومن بين المواضيع التي عالجها الورتلاني من خلال كتاباته، مسألة كشف مخططات وأساليب الاستعمار في إخضاع الدول المستضعفة، إذ مما لا شك فيه

أن الاستعمار قد أدرك جيدا أن الاستلاء على الشعوب، عن طريق الآلة العسكرية وتحقيق السيطرة، لم يعد مجديا، طالما بقيت هذه الشعوب تتمسك بدينها ولغتها، و انتمائها، لذلك فإنه بذل قصارى جهده لتأكيد فكرة " فرق تسد" واستغلال عاطفتي الدين والجنس لبعث الخلاف ونشر الفتن بين الصفوف، حتى لا تقوم لهذه الشعوب قائمة، وانطلاقا من ذلك جاءت عباراته لأبناء المغرب المغربي كاشفة عن هذه المخططات، وداعية إلى اليقظة والحذر يقول في ذلك : " كان من الطبيعي أن يبحث المستعمرون المفرقون، أول ما يبحثون على عوامل نفسية تصلح أن تكون مادة فعالة لإثارة ذلك النفور والحذر وإشاعة سوء الظن والكراهية بين الأفراد والجماعات من ضحاياهم، والغرض واضح، هو رفع الثقة بين المتساكنين المظلومين حتى يتعذر التعاون بينهم ضد الظالمين، وليصير بأسهم بينهم شديدا، ومن المعلوم أن أقوى العواطف وأشدها سلطانا على النفوس، هي عاطفة الدين ثم الجنس من أجل ذلك كان المستعمرون ولا يزالون يدخلون ضحاياهم لتشتيت شملهم من هذين البابين الواسعين باب الدين، وباب العنصرية " (4) .

وقد بدت الجهود — في هذا الميدان — واضحة من طرف الاستعمار، واتضحت بشكل جلي عبر تصريحات قادة فرنسا، مثلما نجده في عبارة أحد كبار قادتها وهو يتوجه بكلامه إلى أحد القساوسة :" إنكم جئتم معنا إلى هنا لتفتحوا من جديد أبواب المسيحية في إفريقيا " (5) وتجلت هذه الجهود بشكل عملي من خلال ما يعرف بالظهير البربري، وتأكدت مع إجراء آخر لا يقل خطورة عن سابقيه وهو ما برز مع قانون التجنيس، الذي يخول فيه للمواطن التمتع بحقوق الوطني الفرنسي، وفي هذه الحالة تجري عليه الأحكام المدنية والسياسية الفرنسية (6).

ولئن حقق هذا المشروع (قانون التجنيس) بعض النجاح على طبقة الشباب المثقف ثقافة غربية، فإنه مع ضخامة الإمكانات المادية التي سخرتها فرنسا للنيل من شعوب أقطار المغرب العربي، وسلخها عن دينها، لم يحقق للاستعمار سوى الفشل الذريع، ذلك أن المواطن المغاربي لم تزده هذه الأساليب إلا تمسكا بدينه ولغته، وقد أكد الورتلاني على هذه الحقيقة فقال :"ولكن

الوطنيين المسلمين أدركوا أن هذا التجنيس يسلخهم من دينهم، فأحجموا عنه،وسخطوا على من استهوتهم منافعه(7).

وكما كشف الكتاب المصلحون عن الأساليب الدنيئة التي استخدمها الاستعمار في محاولة منه لسلخ أبناء هذه الأقطار عن دينها، كذلك كان لهم موقف مشرف تجاه ما كان يثار ضد أبناء هذه الأقطار والتشكيك في عروبتهم وانتمائهم إلى هذه الأمة الإسلامية المترامية الأطراف، من ذلك ما كتبه ابن باديس وهو يؤكد على عروبة أبناء وطنه.

" إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضع عشرة قرنا ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء، وتؤلف بينهم في العسر واليسر وتوحدهم في السراء والضراء حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمه الجزائر وأبوه الإسلام، وقد كتب أبناء يعرب مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشـــرف لإعلاء كلمة اللـــه "(8).

ولم يخرج الورتلاني وهو يدافع عن أقطار المغرب العربي — عن هذا المنحى، فقد ظل يدافع عن عروبة أبناء القطر المغاربي، مفندا بذلك الشبهة التي لطالما بقي أعداء الإسلام والوحدة يرددونها من أن شعوب أقطار المغرب العربي هم من البربر، فكتب يقـــول : " والذي لا شك فيه أن أولئك البربر قد تعربوا جميعا بعد الهجرات العربية المتوالية على ديارهم، ولم يبق اليوم على أرض المغرب العربي من يقول : أنا بربري، أو يرضى أن يصفه أحد من الناس بذلك وأما أهم أسباب هذا التعريب فثلاثة الدين واللغة والتزاوج، وكان الدين أسبق الثلاثة إلى التحكم في مصير البربر، فلقد اعتنقوا الإسلام عن شوق، وقناعة وأحبوه من أعماق قلوبهم، وأخلصوا للتعاليمه أشد الإخلاص .." (9)

وأمام هذا الواقع والأوضاع، فإن طريق الخلاص من ربقة الاستعمار، والوقوف أمام ما يحاك ضد هذه الشعوب — في نظر الورتلاني — إنما يكون بجمع الكلمة، وتوحيد الصفوف، ونبذ الفرقة والشعور بالمسؤولية أمام شعوب هذه الأقطار، ولا يتحقق ذلك إلا بالانضواء تحت دولة واحدة، موحدة الرؤى والخطط والأهداف، ومن ثم لطالمـــا وجدنـــا الرجل متفائلا بإمكانية الوحدة،

فكتب داعيا إلى ذلك :" إن اتحاد أقطار المغرب العربي في دولة واحدة، أو متحدة ليس أمرا ممكنا فحسب، بل هو الواجب المقدس، الذي يسعى إليه كل مواطن حر صادق، وأسباب ذلك ومقتضياته بحمد الله قائمة، على أكمل وجه، ولو أردت أن تقابل بين مجموعة العوامل التي تربط أبناء المغرب العربي، وبين أي مجموعة و أخرى من جميع أطراف العالم، لوجدت روابط الأولى أكثر وأمتن، فالجنس واحد والدين واحد والمذهب واحد واللغة واحدة، وأخيرا فإن الآلام والآمال واحدة، لأن الظالم المستعمر الغاصب واحد" (10).

ولقد أكد الواقع الذي يشهد له التاريخ أن خطوات توحيد أقطار المغرب العربي قد بدأت معالمها مع ظهور حزب شمال إفريقيا، حينما بدأ نشاطه كجمعية، وكان من مبادئها " أن مسلمي الشمال الإفريقي لا يقومون بواجبهم فقط بل بأكثر من واجباتهم، ولهذا فإنهم يطالبون بكل حقوقهم" (11)، وتأكد النضال ضد الاستعمار بشكل أكثر مع نشأة جبهة الدفاع عن الشمال الإفريقي سنة 1944، وكان من أهم أهدافها "السعي بالطرق المشروعة لتحقيق حرية واستقلال شعوب شمال إفريقيا، والسعي لضم شعوب المغرب العربي إلى جامعة الدول العربية" (12).

ولئن تحقق للمغرب الشقيق استقلاله فإن الورتلاني لم يكف عن الدفاع عن حقوق من بقي تحت نير الاستعمار، وظل يستغل الفرص السانحة لذلك، وحينما اعتلى محمد البكاي رئاسة حكومة المغرب بعد أن تخلص من ظلم الاستعمار، كتب الورتلاني إليه آملا منه أن يجعل قضايا أشقائه في المغرب العربي في طليعة اهتماماته :" أناشدكم الله باسم الأجيال أن تجعلوا قضيته واحدة لا تفريق فيها كما جعل الله أمته واحدة في توحيد دينها وفي جنسيتها، وفي لغتها، وطبيعة أرضها، وفي تقاليدها ومصالحها "(13).

وبلهجة المؤمن بقرب النصر، ظل الورتلاني يكافح بالكلمة عبر رسالة يبعث بها إلى أصحاب الهمم أو من خلال نداء يرسله عبد صفحات الجرائد علّه يجد آذان صاغية، فرحم الله الرجل وجزاه الله عن شعوب أقطار المغرب العربي خير الجزاء.

الهوامش:

(1) د/ سعد الله، أبو القاسم، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الآداب، بيروت، ط2، 1977، ص114.

(2) الحجرات، 10

(3) رواه البخاري في كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، عن خلاد بن يحي انظر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج1، ص565.

(4) الورتلاني، الفضيل، الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة،الجزائر، دط، 1992، ص 61-62.

(5) فرحات، عباس، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فظالة، المحمدية، المغرب، دت، ص91.

(6) د/ سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الآداب، بيروت، ص30.

(7) الورتلاني، الفضيل، الجزائر الثائرة، ص330.

(8) ابن باديس، البصائر، عدد 3، (1936/1/13)

(9) الورتلاني، الفضيل، الجزائر الثائرة ، ص63.

(10) المصدر نفسه، ص 60

(11) قداش، محفوظ، قنانش، محمد، نجم الشمال الإفريقي 1926-1937، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص41

(12) الورتلاني، الفضيل، الجزائر الثائرة، ص 280.

(13) المصدر نفسه، ص189.

أ/ زكية مترل غرابة

مختارات من كتاب الجزائر الثائرة

الجزائرُ الثائرة

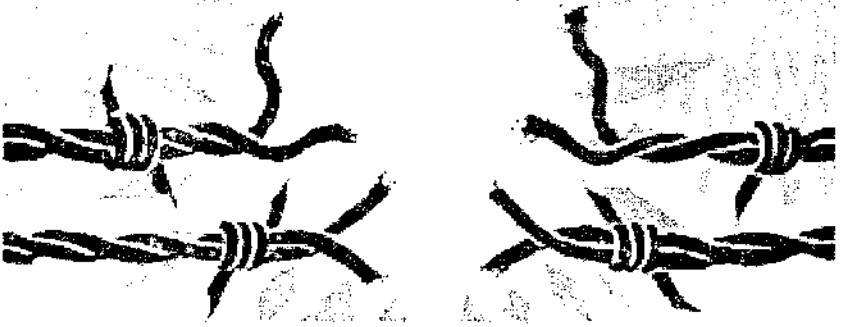

دار الفكر
عين مليلة - الجزائر

جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية

كانت حركة الدفاع عن قطار إفريقيا الشمالية، تونس والجزائر ومراكش، في بلاد الشرق مفرقة، فكل قطر يعمل مستقل عن الآخر، ولو أن التعاون بينهم كان في الجموع كان سائدا.

ولما جاء عام 1944 تألفت هيئة عامة لجمع الشمل، وتوحيد الرأي والكفاح، سميت —جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية- تحت رئاسة العلامة الجليل شيخ الأزهر سابقا الأستاذ الأكبر "محمد الخضر حسين" وسكرتارية الأستاذ "الفضيل الورتلاني"، وضمت أعضاء من جميع أقطار المغرب العربي، ومن جميع الهيئات والأحزاب، ووضعت لها قانونا أساسيا استهدفت فيه بالدرجة الأولى استقلال هذه البلاد، استقلالا تاما لا زيف فيه، ووحدة كاملة شاملة لا نقص فيها، فأبلت هذه الجبهة بلاء عظيما في سبيل تنمية روح الاستقلال والوحدة في نفوس أبناء المغرب العربي، عامتهم وقادتهم، وفي سبيل إشاعة هذه المعاني في بلاد الشرق،شعوبهم وحكوماتهم، وتم لها الكثير مما أرادت، إذا أصبحت كلمة الاستقلال وكلمة الوحدة، من التحيات المفضلة عند المغاربة جميعا، وخفت روح الإقليمية، حتى كادت أن تختفي تماما، كما خفت أغنية الإصلاحات والاستقلال الأعرج الذي تغطي عرجه إصلاحات استعمارية كاذبة وخادعة، وحتى أصبح أهل المشرق يدركون خطورة هذه البلاد، وأصبحوا يحسون في الوقت نفسه، بواجبهم نحوها، بعدما كانوا ينظرون إليها، كما ينظر الطالب الابتدائي إلى أطلس الجغرافيا.

ويحسن بنا أن ننشر هنا بعض نشاط هذه الجبهة للتاريخ، وليس بين أيدينا الآن من آثارها إلا عدد خاص بها، من مجلة "النذير" المصرية، وسنأخذ منها نموذجا من أعمالها في صورة مذكرات، وبرقيات، ونداءات الخ...

وإلى القارئ الكلمة الأولى بقلم الأمير "مختار الجزائري" نائب رئيس الجبهة يومئذ، لأنها تتعلق بكيفية تكوين الجبهة، ثم تتلوها بقية المختارات، قال الأمير مختار تحت عنوان:

مجاهدون يعودون من الآخرة

في أفريقيا الشمالية، زهاء ثلاثين مليونا من أبطال العروبة، يقاسون من أساليب الظلم، ما لا مثيل له في القرون المظلمة. فمن فرط رهبة فرنسا من سطوتهم، عأبت كل ما تبقى لديها من قوة عسكرية ومدنية لإرهابهم، ثم وضعتهم في "باستيل" أحكمت غلقه، حتى لا يتسرب منه، أو إليه أي نفس من الحرية وبالأمس القريب، دعت باسم زعيم التحرير الجنرال ديغول إلى عودة إيطاليا، أي والله-إيطاليا التي طعنتهم يوم المحنة-من خلف-للرجوع إلى استعمار طرابلس الغرب، حبا في مجرد الاستعباد، وحسبة لوجه الاستعباد، وزعيمهم ديغول هذا، لم يرق إلى سماء القداسة في نفوس الشعب الفرنسي، إلا لأنه هجر بلده يوم نزلت به الكارثة، ليستنجد بالإنكليز، وبالأمريكان، وبالروس، في سبيل تحرير بلده، وكان صنيعه ذلك كله، في نظر الفرنسيين فضيلة وبطولة وجهادا، مادام في مصلحة فرنسا، وشاء الله تعالى أن يخلق رجالا من العرب، على غرار الجنرال ديغول، يريدون تحرير أوطانهم، فهجروا هذه الأوطان على طريقة ديغول، ليستنجدوا بالدنيا جميعا، في سبيل تحرير أوطانهم، فمنهم من رمت به إلى الغرب، كل ذلك سعيا لتحرير أوطانهم، على مذهب ديجول ورجال فرنسا الحرة، فمن هؤلاء جماعة من أبطال تونس المجاهدة، حاربتهم حكومة فيشي ربيبة الألمان، وبنت إيطاليا البكر، فحكمت على بعضهم بالإعدام، وعلى البعض الآخر بالأشغال الشاقة، ثم جاءت حكومة ديغول ربيبة الحرية، وبنت الديمقراطية البكر، فعززت هذه الأحكام، وزادت إليها حمل بعير، أما الأبطال، فلقد كتب الله لهم النجاة من هؤلاء وهؤلاء، ففروا هائمين في البلاد الأوروبية، تتقاذفهم أمواج القدر من مكان إلى آخر، وشبح الموت يلاحقهم بالإعدام في كل مرحلة، حتى استقر بهم النوى في إسبانيا، فسكنوا مدريد في جوار "فرانكو" المغضوب عليه من الديمقراطيين، فكأنهم كانوا بجوار الآخرة، ولكن عناية الله أرحم من كل ذلك، فلقد مدت يدها في سرعة البرق، وانتزعتهم من بين مخالب الموت، فبين عشية وضحاها، وضعتهم في طائرة فخمة، حلقت بهم في طريقها إلى القاهرة، عاصمة العروبة و الإسلام وهم:

الدكتور حبيب ثامر، والأستاذ الطيب سليم، والأستاذ رشيد إدريس، والأستاذ الهادي سعيد، والأستاذ حسين التريكي، وسيجدون كما وجدنا من قبل –من إخوانهم العرب في مصر الشرق عامة– العائلة النبيلة تضمهم إلى أبنائها في حب وحنان، أما الذين ظلموا فسيعلمون أي منقلب ينقلبون.

الفضيل الورتلاني

نشر جريدة الكتلة 3-3-1946.

في سبيل فلسطين
أرسلت الجبهة هذه المذكرة إلى جميع الدول العربية المتحالفة

حضرت صاحب....

بعد التحية والاحترام ترجو جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية بمصر رفع المذكرة الآتية لحكومتكم الموقرة مع الشكر الجزيل.

إن ثلاثين مليونا من أخلص العرب في إفريقيا الشمالية،يعدون فلسطين جزءا من وطنهم العربي الكبير، بل يعدونها بمثابة القلب من سائر الجوارح، لما تنطوي عليه من المعاني المقدسة لهم، وأن كل أذى يتجه إليها يحسون بأثره، ويتمرون بألمه قبل سكان فلسطين أنفسهم، وجبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية بمصر، التي تعبر عن احساسات هذه المجموعة المحترمة، ترى في قرار لجنة التحقيق الإنكليزية والأمريكية افتياتا على حقوق العرب في فلسطين وعدوانا صريحا على كرامتهم فيها، وأن عنصر الهوى في القرار الجائر هو الدفاع الأول والأخير.

وترى الجبهة أن أي محاولة لتنفيذه، تؤدي إلى ما لا تحمد عقباه من العواقب الوخيمة، أهمها تعريض السلام العالمي إلى الخطر مرة أخرى، ودون ذلك تضيع صداقة العرب والمسلمين في جميع أقطار الأرض...تضييعا ينتهي بهم إلى اليأس من أنصاف من ينتسبون إلى الديمقراطية، ثم الميل إلى جانب آخر مضطرين.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام،

السكرتير الفضيل الورتلاني

جريدة المصري 12-2-1946

الأمة الجزائرية كلها ثائرة وحزب واحد

منذ اليوم الأول لقيام الثورة التحريرية في الجزائر، حددت من جديد أهداف الأمة الجزائرية وأعمالها، أما أهدافها فهو الاستقلال التام، الذي لا يقل عن استقلال فرنسا نفسها، وأما العمل، فهو الكفاح المسلح حتى النصر النهائي أو الفناء، ومنذ ذلك اليوم، ذابت آراء الهيئات والأحزاب والنواب جميعا، ولم يبق إلا رأي واحد، هو رأي الثررة والثوار فقط والثوار في الحقيقة، هم الأمة الجزائرية عن بكرة أبيها، لا فرق بين من حملوا السلاح لقتال المستعمرين وبين من ثاروا باللسان، أو بالقلم، أو بالقلب على الأقل، ولا فرق بين من يعملون علنا، ومن يعملون سرا.

المهم لم يشد عن ذلك العمل المقدس، رجل ذو حسب أو نسب، أو ذو نفوذ أو نيابة وإذا وجد من خرج عن صفوف الكفاح، بالقعور عن مد المجاهدين بالعون المقدور عليه، أو بمساعدة المستعمرين على الوصول إلى النيل من أعمالهم، أو الإساءة إلى رسالتهم، فلن يكون ذلك الخارج، إلا من بعض الموظفين الساقطين، أو حثالة الناس، الذين يباعون كالسلع في الأسواق، وهذا الصنف على ندرته، بالنسبة لأمة تعدادها 11 مليونا من الفقراء والمحتاجين، وبالنسبة للظروف القاسية، والمغريات الاستعمارية، فإن يد المجاهدين لم تقصر على أحد من الخائنين، فلقد حاكمت الثورة مئات من هؤلاء، فحكمت على الكثير منهم بالإعدام، ونفذت فيهم الأحكام على أدق وجه وأسرعه، هذا هو الوضع منذ قامت الثورة في فاتح نوفمبر سنة 1954، وما تزال الأمة من ذلك اليوم، تزداد بالثورة تعلقا و تفانيا حتى الآن، رغم التضحيات العظيمة التي تكبدها، من جراء الأعمال الوحشية، التي ما فتئ المستعمرون يصبونها على المدنيين العزل الآمنين، هذا ولقد أراد الفرنسيون أن ينعتوا هذه الثورة المقدسة، بكل صغيرة يمكن أن تقلل من شأنها، من ذلك زعمهم المتكرر، بأن هؤلاء المقاتلين، إنما هم عصابة من قطاع الطرق والجائعين، أما بقية الأمة الجزائرية، فهي في ألف خير راضية مطمئنة، وإن كانت الحوادث تكذبهم في كل يوم بضع مرات، ولكنهم ما يزالون يزعمون ويفترون.....لأنهم لايستحون، والذي لا

يستحي يصنع ما يشاء، ويهمني أن أنبه القارئ هنا، إلى أنه ليس في الجزائر إلا أربع هيئات فقط، يمكن أن تدعي بأنها تمثل قسما كبيرا أو صغيرا من الجزائريين، هذه الهيئات هي :1- حزب الشعب، 2- جمعية العلماء، 3- حزب لبيان، 4- هيئة النواب، وليس في الجزائر غيرها على الإطلاق، وقد أصبحت اليوم جميعا تؤمن بالثورة وآرائها، أو تؤيدها علنا، وفي ملأ من الفرنسيين وأهل الأرض، وفي فصول هذا الكتاب، شواهد كثيرة على ذلك، ونحب أن نثبت هنا مذكرة لحزب الشعب، كان قد قدمها لهيئة الأمم سنة 1950، ليعرف القارئ مقدار سهر الجزائريين على قضيتهم، وبعدها نثبت كلمة للأستاذ فرحات عباس، رئيس حزب البيان، "الذي أعلن انضمامه رسميا، إلى الثورة، وإلى جبهة التحرير، فبهذين الحزبين مع العلماء و النواب، يكمل نصاب إجماع الجزائريين على الكفاح من أجل الاستقلال، وعلى طرد المستعمرين بأي ثمن. وفيما يلي، مذكرة حزب الشعب:

أيها العربي ماذا تعرف عن المغرب العربي

يسر بيروت — المساء، أن تخصص هذه الزاوية لسلسة من المقالات يكتبها المجاهد العربي الكريم، الأستاذ الفضيل الورتلاني، وإننا إذ نشكر الأستاذ الجليل، نضم صوتنا إلى صوته، في وجوب الاهتمام بهذا الجزء الغالي من العالم العربي العزيز على كل قلب، قال الأستاذ حفظه الله :

نحن في عصر يؤمن الواعون فيه بجدوى التكتل أشد الإيمان، وليس هذا الإيمان قاصرا على الضعفاء، بل ربما كانت أعراضه عند الأقوياء، أظهر وأوضح: خذ مثلا أكبر دولة في العالم، خذ هؤلاء الأمريكان (أعني الولايات المتحدة) الذين يبلغ تعدادهم اليوم مائة وستين مليونا، وأنظر إليهم كيف يستقلون هذا العدد الضخم، فيروح رجالهم العباقرة، يبحثون عن التكتل والترتيب في جميع القارات العامرة، تحت أسماء تنظيم في هذا العقد اللامع،(مشروع مارشال النقطة الرابعة) ومساعدة المناطق المتأخرة اقتصاديا، وبالتحالف، والنايلون وما أشبه ذلك.

ثم لما ضاقت بهم الأرض وبأبحاثهم، راحوا يبحثون في السماء من بين الكواكب السيارة، والنجوم الثابتة حتى عثروا على من يزعم لهم، بأن الوصول إلى المريخ أمر غير مستحيل.

فآمنوا بسرعة، وهم الآن بصدد إعداد الأسباب ليصدوا إليه في الغد القريب أو البعيد. وهذا العصر بالذات يؤمن بجدوى رابطة المصلحة أشد الإيمان، حتى قال قائلهم، وقائد قافلتهم في الحرب والسلم، المستر تشرشل: ((لامانع عندي من محالفة الشيطان، إذا كان ذلك في مصلحة أمتي ووطني)).

محنة اللغة العربية في الجزائر

جريدتي بيروت المساء والمنار لدمشقية

اللغة هي مظهر كرامة الأمة، وعنوان بقائها...

إن اللغة مظهر مقدس من مظاهر كرامة الأمة، التي تحترم نفسها، وعنوان من عناوين مجدها ووجودها. ولا يجوز أن يقل اعتبار اللغة في مجال الكرامة عن اعتبار العلم ((والبيرق)) أو تعبير النشيد الوطني، الذي يعاقب القانون والعرف، من لا يقوم له إجلالا عند سماعه.

واللغة العربية ليست لغة الجزائريين وحدهم، وإنما هي لغة الأمة العربية كافة، وعنوان كرامتها ووجودها، فمن أهانها إنما يهين العرب أجمعين، هذا هو المنطق يوم كان للمنطق سلطان، وعلى هذا الأساس ، أتحدث اليوم إلى العرب عما أصاب لغتهم من ازدراء وإهانة في عقر دارها بالجزائر، وما ألحقه الفرنسيون بها في أرضها، وللغة في نظري عرض كما للأشخاص أو أشد وإليك القصة باختصار:

احتل الفرنسيون الجزائر عام 1830م فوجدوا أهلها يدينون بالإسلام، ويتكلمون بالعربية، ويقدسونها منذ اثنتي عشر قرنا ونيف، فعز على المستعمرين أن يكون لهذه الأمة مقدسات، أو مقومات حياة، لأنهم بيتوا قتلها وإفناءها، أو مسخها على الأقل، فرأوا أن يصوبوا أول ضربة حازمة إلى اللغة، مظهر كرامة الأمة وعنوان بقائها، فأصدروا قانونا يجعل اللغة الفرنسية في الجزائر هي اللغة الرسمية وحدها، وصيروها لغة المدرسة ابتداء من روضة الأطفال، إلى الصفوف العالية في الجامعة، وجعلوها لغة المعاملة العامة، ابتداء من مختار الحارة حتى تنتهي إلى الحاكم العام، وهذا أمر قد يسهل تصديقه، إنما الذي يعز — ولا شك على القارئ، تصديقه هو أن الفرنسيين الديمقراطيين، قد أصدروا قانونا آخر يعتبرون اللغة العربية بين أهلها لغة أجنبية، وهذا ما حصل بالذات، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى اصطناع كل أنواع الإهانات لها، فكل مدرسة أهلية للعربية، إذا سمح بفتحها، إنما تخضع لقانون المدارس الأجنبية وإن كل جريدة تصدر بالعربية إذا سمح بصدورها، إنما تخضع لقانون الصحف الأجنبية، وإذا

كتبت أنت إلى صديق لك رسالة في الجزائر، وجعلت العنوان بالعربية إنما ترمى في سلة المهملات ثم إن السماح بفتح المدارس للعربية إنما هو محض افتراض، وإلا فإن فتح مدرسة لتعليم اللغة العربية في الجزائر، كان ولا يزال في نظر الفرنسيين، أخطر من فتح مصنع لإنتاج الأسلحة والذخائر، استعدادا لثورة، وأخطر من فتح محششة يدار فيها الأفيون والكوكايين وبقية السموم، فلقد شهدت المحاكم في الجزائر مناظر مخجلة يساق فيها معلم العربية في موكب اللصوص والقتلة والمجرمين، لمحاكمتهم على صعيد واحد، وقد تنال رحمة القضاة الفرنسيين، بعض القتلة واللصوص، ولكن ما جربت يوما أن تنال معلم اللغة العربية أبدا، وعلى كل حال، فإنه لا يحسن بي أن أفارق القارئ العربي قبل تطمينه على لغته ومظهر كرامته، فأؤكد أنها اليوم بحمد الله في ألف خير. لأن أهل الجزائر قد داسوا تلك القوانين الحقيرة بأقدامهم، واستهانوا بكل تعذيب يصيبهم في سبيلها. فرحبوا بالسجون والغرامات وبكل مؤلم من أجل لغتهم، فمازالوا كذلك حتى عجزت بربرية الاستعمار، أمام إرادة الجزائريين الجبارة، فسكتت مرغمة، ولو كانت قوانينها لا تزال نظريا قائمة، لكنها غير منفذة .

وبعد فإن وظيفتي هنا هي أن أشكو إلى العرب ما أصاب لغتهم، وعنوان مجدهم، من إهانة ومطاردة، ثم لا أوصيكم بماذا يصنعون مع المجرمين، لأنهم أدرى.

برقية لحضرات رؤساء الكتلة الإفريقية الآسيوية في هيئة الأمم المتحدة المحترمة.

باسم الجزائر والمغرب العربي وما يبذلونه من دم وعرق، مرغمين صونا لحريتهم وبقائهم، وباسم عامة الأحرار الحاضرين والغائبين من الأجيال، نشكركم على جهودكم النبيلة الموفقة، حيث استطعتم بصبركم رغم عراقيل المستعمرين والطغاة، أن تثبتوا لدى هيئة الأمم والعالم، مبدأ حق الجزائر في السيادة والاستقلال، وأملنا وطيد بأن تواصلوا مساعيكم المتنوعة، لجني الثمرة المطلوبة إذ تعلمون، أن الأعمال بالخواتيم وفقكم الله.

13 أكتوبر 1955

جبهة تحرير الجزائر
للتاريخ

كان جماعة من أبناء الجزائر المسؤولين، والمقيمين في القاهرة — تداعوا إلى عقد اجتماع لدراسة الموقف وما يتطلبه، ويمليه عليهم من واجبات، خاصة بعد اندلاع الثورة.

ولقد استقر رأيهم من ذلك الوقت على الوثيقة التالية التي تأخر نشرها حتى اليوم لأسباب لا محل لذكرها هنا.

ولقد كان الأمير محمد عبد الكريم الخطابي أول من أمضى الوثيقة وباركها، كما أمضاها السادة: شقيقه الأمير محمد عبد الكريم، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والفضيل الورتلاني، وأحمد بيـوض، والشاذل مكي، يوم 05أكتوبر 1955، على أن تبقى مفتوحة ليمضيها كل من له ماض صادق، وسعى مشكور من أبناء الجزائر المخلصين العاملين.

ولقد اتفقت الكلمة على أن تسمى الجماعة (جبهة تحرير الجزائر)، وعلى أن تسند رئاستها للمجاهد الأمير عبد الكريم الخطابي، لفضله على حركات التحرر في المغرب العربي، وإسداء رأيه في كل عمل يكون الغرض منه مقاومة الاستعمار والمستعمرين.

وفيما يلي نص الوثيقة التي بحثها الجميع، واتفقت عليها الكلمة منذ اليوم السابع من شهر نوفمبر الأخير سنة 1954:

بسم الله الرحمن الرحيم

في الجزائر العربية المسلمة اليوم، كفاح مسلح خطير، دفع الشعب الجزائري إليه مرغما بسبب الاضطهاد الاستعماري الغاشم، الذي لا يريد أن يفتح عينيه على الواقع ليتطور مع الزمن، رغم أن أهل الدنيا كلهم تطوروا، وعرف حتى المستعمرون الأقوياء أنفسهم، من غير الفرنسيين، أن الاستعمار في القرن العشرين لم يعد أسلوبا صالحا للبقاء .

ولقد كان من طبيعة التخصص في الأعمال، وطبيعة اختلاف وجهات النظر، في أساليب العمل، عندما تكون الظروف عادية، كان ذلك يقضي أحيانا

بوجود أحزاب وهيئات وآراء، أما في ظروف الجهاد التي تقرر مصائر الأمم، وتنتهي بالموت أو الحياة، فيجب أن تذوب الأحزاب والهيئات، فتتحول إلى جيش واحد معبأ للكفاح، ويجب أن ترتفع جميع الآراء المختلفة، فتتحول إلى رأي واحد موحد، يستهدف استعمال جميع المواهب للوصول إلى التحرر والنصفة من الظالمين، لذلك اجتمعت الشخصيات المسؤولة والموجودة اليوم في ضيافة مصر الشقيقة، وتدارسوا الأمور بعناية وعمق، فكانت قلوب الجميع، وآراء الجميع متفقة والحمد لله، وكانوا مقتنعين بجميع ما تضمنته هذه المقدمة من المعاني، ثم قرروا بالإجماع وبدون تردد ما يأتي :

01 – يعتبر الشعب الجزائري اليوم على اختلاف أفراده، وجماعاته، وأنواع اختصاصاته فيما يخص بالكفاح القائم، يعتبر ذائبا في كتلة واحدة، اسمها (الشعب الجزائري) ومن شذ شذ في النار.

02 – يعتبر المغرب العربي بأقطاره الثلاثة : تونس، والجزائر، ومراكش، أمة واحدة يكمل بعضها بعضا، ويجب التعاون بين الجميع، تعاونا تاما في الحرب والسلم، حتى ينالوا حريتهم جميعا.

03 – تألفت في القاهرة هيئة تحت اسم (جبهة تحرير الجزائر) تمثل احساسات الأمة الجزائرية ومشاربها، وذلك لتنظيم الأعمال وتحمل المسؤوليات، وإلا فكل جزائري صالح، يجب أن يعد نفسه عضوا عاملا في هذه المعركة المقدسة الفاضلة.

04 – هذه الهيئة الجزائرية مستعدة من الآن لتذوب في هيئة أجمع وأشمل للأقطار الثلاثة بنظام يوضع، ومسؤوليات تحدد.

05 – تبعث الهيئة بتحياتها العميقة إلى المكافحين في الجزائر، وفي جميع أقطار المغرب العربي، سواء منهم من حمل السلاح، أو من كان عاملا وراء الميدان، وتدعوهم جميعا ليوطنوا أنفسهم على الصبر والتضحية، وجميع القلوب، وتسوية الصفوف، وتبشرهم بأن الأمل في النصر عظيم إن شاء الله، ولكنها تنذرهم بأن العمل شاق وأن الطريق طويل.

06 – تهيب الهيئة بإخوانها العرب والمسلمين، ثم بأحرار الدنيا جميعا، ليشدوا أزر المكافحين في سبيل الحرية والحق، وليؤدوا زكاة الأخوة، وزكاة

الإنسانية المقدسة. وليمنعوا ما قد يترتب على هذا الظلم الفرنسي الفادح من قيام حرب عالمية تهلك الحرث والنسل والعياذ بالله.

القاهرة في 11 جمادى الأولى 1374
05 يناير 1955

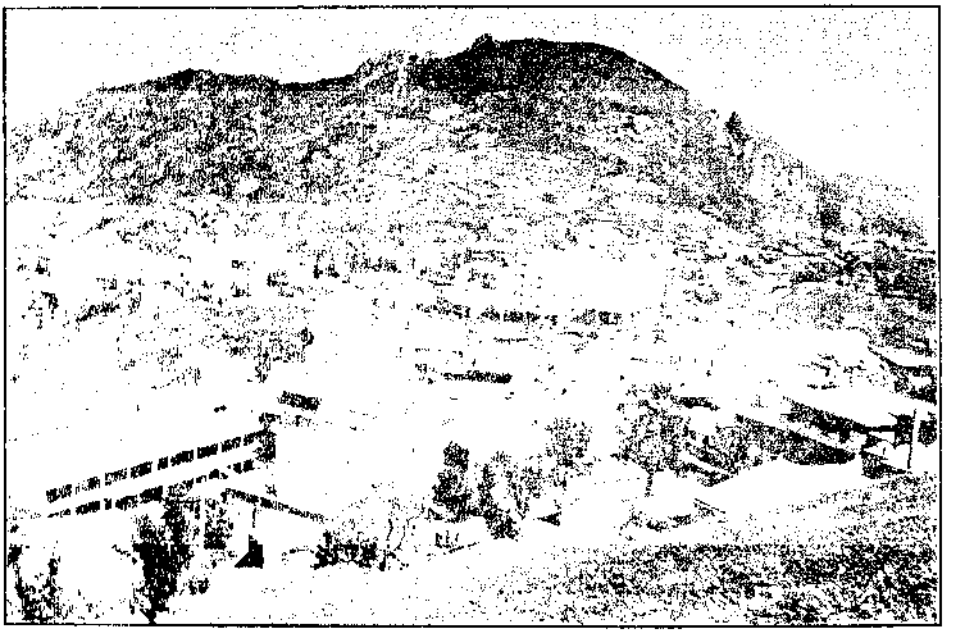

بني ورتلان مسقط رأس الشيخ الفضيل الورتلاني

وثائق تاريخية

جامعة الدول العربية

الأمانة العامة

القاهرة في ٢٨/٤/ سنة ١٩٥٤

١٦٦٥

الى جميع الهيئات الدينية والعربية والاسلامية بالولايات المتحدة وامريكا الجنوبية

رأى المكتب الدائم للمؤتمر الاسلامي العام لقضية فلسطين ارسال وفد من اعضائه الى الولايات المتحدة وامريكا اللاتينية للتذكير بقضية فلسطين وشكر الدعاية لقضيتها. ويرأس هذا الوفد الاستاذ القديسي الورتلاني، وهو يكون من رجال معروفين بوطنيتهم وغيورتهم واخلاصهم.

وترجو الامانة العامة تيسير مهمة الوفد ومعاونته على القيام بواجبه حتى يتمكن من اداء رسالته وتقدير ما يجد اليه من وسائل هذه الخدمة لفلسطين والعرب.

الامين العام المساعد

الورتلاني يرأس وفد المؤتمر الإسلامي العام لقضية فلسطين إلى الولايات المتحدة، وأمريكا الجنوبية.

الوثيقة السادسة

الجزائر ، في 22 سبتمبر 1938

الشرطة الولائية الخاصة

رقم 6733

أحداث فلسطين

اكتتاب الجزائر

تقرير

ـ نسخ الى :
ـ الولاية و (ديوانها) 2
ـ الولاية و (النيابة العامة) 1
ـ الامن العام 5

تباعا لتقريري المتعلق بالدعاية المنتشرة في الاوساط الاسلامية من أجل جمع الاموال الموجهة الى اخوانهم الفلسطينيين ضحايا الصهيونية ، يشرفني ان احيطكم علما بانه قد تكونت لجنة وقتية بمبادرة من الشيخ الطيب العقبي ، تتكون منه هو نفسه ومن السيد كواسي محمد بلباي ، رئيس نادي الاصلاح ، من أجل جمع المبالغ المالية المدفوعة من طرف سكان الجزائر العاصمة الجزائريين .

وفي نادي الترقي ، انتقد الشيخ العقبي ، اثناء محادثة له ، تصرفات الانجليز في فلسطين ، ومدح سياسة فرنسا تجاه المسلمين . واعلن ان الاوامر قد اعطيت الى الشيخ الفضيل الورتلاني بباريس ، والشيخ سعيد صالحي بمرسيليا ، لمواصلة الدعاية (الدعوة) لجمع الاموال .

وتجب الملاحظة ان قوائم الاكتتاب قد بدأت تتوزع سريا بين العلماء (اعضاء الجمعية) ومحبي الخير بمدينة الجزائر . وارسلت بعض هذه القوائم الى داخل البلاد والى الولايات المجاورة .

محافظ المقاطعة
رئيس الشرطة الخاصة

191

تكليف الأستاذ الفضيل الورتلاني بجمع الأموال لصالح فلسطين بباريس

الحبيب بورقيبة
المجاهد
رئيس الحزب الحر الدستوري تونسي

القاهرة في ٤ / ٢ / ١٩٤٥ بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الوطني الغيور الاستاذ الفضيل الورتلاني قبه وسلم
وبعد فقد وافاني كتابكم المؤرخ في ٩ الجاري والجواب هو اني قد تحدثت مع الاستاذ عبد الرحمن عزام بك الجامعة ولكنني لم اتمكن من التبسط في الموضوع لضيق الوقت ولم يزد كلامه الي عن المعتاد اما مسالة توفيق السويدي فاني تقابلت معه مرتين واطلعته على الشروط التي اشرتم اليها اذا كانت نتيجة المقابلة الاولى واشار الي بوجوب العمل في لندن عند اجتماع لجنة الوصاية هناك اي في شهر اكتوبر المقبل ووعدني بالاعانة اذا كان

وقد اجتمعت الجمعية العامة لمؤتمر الهيئات العربية لكنه لم تخرج بشيء عن تعيين لجنة فرعية تتركب من ستة شخصيات "لتنفيذ قرارات المؤتمر"...؟ وهو شيء ضئيل جدا وعاب الاغلبية مستقلون بتعيين العدد الخاص من اللجنة لتقضيه مشاغل اعضائها وقد صدرت اخيرا جريدة "لا ريبيز" وهي تفصل عن حوادث الجزائر كله تفاصيل وانتم تعلمون هذا ترجمته حسبما وردت في الكتلة بتاريخ ١٠ يوليو الجاري ويحسن الرد عليه بكلمة منكم لما لديكم من المعلومات في خصوص الشعب الجزائري ومن وجهة النظر هذا اهم ما عندنا عنكم وفي انتظار اتمنى لكم صحة كصحتي وشفاء

الواضع الكتوبة لتحيته بكم بمناسبة الايام المقبلة بما تعلمون من اعتقاد واخلاص وتسليم
السلطة المقدسة والسعادة مع كلمات الاخوة والمودة فردا فردا وبالخصوص عند الخلص

رسالة الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الحر الدستوري التونسي

إلى الأستاذ الفضيل الورتلاني

بسم الله الرحمن الرحيم

The United Arab Emirates University

Post Graduate Studies & Academic Research

Office of the Dean

الأخ العزيز مسعود حفظه الله

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

سعدت كثيرا بالاطلاع على رسالتكم إلى أخي الاستاذ الدكتور لبيده الراجحي التي تطلبونه فيها عنوان للاتصال بي وتوشيه العلاقة بيننا إحياء لصلة كريمة عزيزة كانت تربطني بالمرحوم البدور والدكم العزيز واستشافا لوشيجة أنا آثر عرها على تشبيرها وتمكينها

إنه صلتي بالمرحوم والدكم لم تكن مجرد صداقة ولكنها كانت أخوة موصولة الأسباب لاثنتي عشرة سنة من السراء والضراء في مصر واليمن ولبنان فكانا إذا عز اللقاء في مصر سعيت إليه في لبنان ، ولقد قضينا سويا مواقف حاسمة - ولا أقول مقادير حاسمة - في تاريخي صفحة الأمة رغم حداثة سني آنذاك ، فقد كان رحمه الله بمثابة الأخ الكبير لي ، عشنا معا الأيام الحاسمة في تاريخ اليمن في صنعاء ، وقضينا معا شهرين على ظهر باخرة صغيرة تتدرع بنا البحر الأبيض والبحر الأحمر ، وحملنا معا أهل استقلال الجزائر وقد كان أبوك بعلمه وفضله وفصاحته وسطوته وصبره بمثابة كتيبة كاملة في معركة التحرير ولم تفترق الأخوة طاهر مضطرا إلى تركيا حيث دانته المنية وهي يقرأ كتاب الله بصوت جهير وقد أنزله الله في الفراديس الأخيرة بجوار ستار الستارة اللبيبة صديقنا الأستاذ فرج بن جليل بالقرب منه

وسوف يسرني كثيرا أن أعرف أخباركم وأطمئن على أحوالكم والله يحفظكم ويرعاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص

مصطفى الشكعه

العين في ٥ فبراير ١٩٨٥

Tel. : 678897 — Telex : 33521 JAMEAH EM — P. O. Box : 15551 — Al Ain — U. A. E.

رسالة إلى نجل الفضيل الورتلاني من الدكتور مصطفى الشكعه

صديق الشيخ الورتلاني

الفهرس

* **شكر وعرفان**
للأستاذ الدكتور/ عبد الله بوخلخال – مدير الجامعة – 05
* **تقديم**
الدكتور/ إسماعيل سامعي–نائب مدير الجامعة للبيداغوجيا– 07

حياة الشيخ الفضيل الورتلاني

* **الفضيل الورتلاني**
الأستاذ/ مسعود حسنين – نجل الفضيل الورتلاني –..... 13
* **الفضيل الورتلاني ذلك المعلوم المجهول**
الأستاذ/ محمد الهادي الحسني..... 24
* **علم ورمز للنضال والجهاد**
الأستاذ/ عبد الحفيظ أمقران الحسني..... 31

جهاد الشيخ الفضيل الورتلاني

* **الشيخ الفضيل الورتلاني المجاهد الثائر**
الدكتور/ بلقاسم شتوان 37
* **الفضيل الورتلاني الداعية المجاهد**
الأستاذ/ بشير قلاتي 45
* **العلامة المجاهد والثائر المجالد**
الأستاذ/ عثمان أمقران 55

دراسات في آثار الشيخ الورتلاني

* **رؤية الفضيل الورتلاني للدين والعرق في المغرب العربي**
الدكتور/ إسماعيل سامعي 64

* **فضيل الورتلاني من خلال الجزائر الثائرة**
الأستاذ/ باديس فوغالي 72
* **جهاد الفضيل الورتلاني بفرنسا ومصر**
الأستاذ/ عبد المجيد قدور 81
* **وقفات في نضال الفضيل الورتلاني – المغرب العربي نموذجا –**
الأستاذة/ زكية منزل غرابة..... 96

مختارات من كتاب الجزائر الثائرة

* جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية 102
* مجاهدون يعودون من الآخرة 103
* في سبيل فلسطين 105
* الأمة الجزائرية كلها ثائرة وحزب واحد 106
* أيها العربي ماذا تعرف عن المغرب العربي 108
* محنة اللغة العربية في الجزائر 109
* جبهة تحرير الجزائر – للتاريخ – 111

وثائق تاريخية

1 – الورتلاني يرأس وفد المؤتمر الإسلامي العام لقضية فلسطين إلى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية.
2 – تكليف الأستاذ/ الفضيل الورتلاني بجمع الأموال لصالح فلسطين بباريس
3 – رسالة الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الحر الدستوري التونسي إلى الأستاذ الفضيل الورتلاني.
4 – رسالة إلى نجل الفضيل الورتلاني من الدكتور/ مصطفى الشكعه صديق الشيخ الفضيل الورتلاني.